
روايات مصرية للجيب
نسمة الصباح
زهور
٣٦
Looloo
www.dvd4arab.com
د. نبيل فاروق
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

نسمة الصباح

« عندما تحيط بنا عواطف الحياة ، وفى أشدّ ظلمات الليل حُلكة ، ينبغى أن نتذكَّر أن الصباح يحمل دائمًا نسمة .. نسمة أمل » ..

د. نبيل فاروق .

١ ــ العـودة ..

« تعلن شركة مصر للطيران ، عن وصول رحلتها رقم (...) ، القادمة من (روما) ، ويسعدها أن تهنئ المسافرين بسلامة الوصول ، و ..... » .

دَوَّى ذلك النداء فى أُذنى (مراد) وعقله وقلبه .

دَوَّى بكل ماتحمله نفسه من شوق لموطنه ، الذى ابتعد عنه عشر سنوات كاملة ..

موطنه !!..

يا لها من كلمة بسيطة ، تحمل فى ثناياها أطنانًا من المشاعر والانفعالات !.

لقد عاش تلك السنوات العشر الماضية يفتقر إلى ماتُعنيه تلك الكلمة ..

إلى الدفء والأُلفة والارتياح ..

لقد عاش فى (روما) حياة حافلة ، انتقل فيها من حضيض الفقر إلى ذِرْوة الثراء ، وقاتل فيها ، وانتصر ، وأحبَّ وكره ..

ولكنه أبدًا لم يشعر بالأمان والطمأنينة ..
كان يعلم دَوْمًا أنه مواطن غريب ..
أجنبى ..
حتى ولو صار أغنى أغنياء (روما) ..
حتى ولو ملك كنوزها ..
إنه دَوْمًا غريب ..
فقط فى موطنه يفقد هذا الشعور ..
شعور الغُرْبة ..
وعلى الرغم من ذلك ، فقد تردَّد كثيرًا ، قبل أن يقرِّر العودة إلى موطنه ..
لم يكن مبعث تردُّده هو أنه يكره وطنه ..
أو يخافه ..
بل كان يخشى أن يستعيد فيه كل ذكرياته ..
ذكريات العذاب ، الذى دفعه إلى الهروب ..
إلى الفرار ..
إلى الانتحار فى نهر الغُربة ..
توقَّفت ذكرياته وأفكاره عند هذه النقطة ، وكأنه يرفض أن يستعيد ذكرى لحظة واحدة حزينة ، فى خِضَمِّ سعادته بالعودة ..

وبكل ما يملك من قوة ، ملأ صدره بنَفَس عميق من هواء (مصر) ، ثم زفره فى سعادة ، وكأنما يؤكد لنفسه أنه ملكه ..
إنه هواء بلاده ..
وبكل الحماس والنشاط ، راح يدفع حاملة الحقائب ذات الإطارات ، متجهًا إلى الخارج ، بعد أن أنهى تعاملاته الجمركية فى بساطة ..
كان يعلم أنهم يطالبونه بضريبة جمركية تفُوق المفروض ..
ولكنه لم يعترض ...
دفع كل المبلغ الذى طالبوه به فى بساطة ..
بل فى لهفة ..
كان كل ما يهمّه هو أن يغادر المطار ..
وأن يمتزج بموطنه ومواطنيه ..
ولم يكد يحقق ذلك الأمل ، حتى غمره شعور عارم بالارتياح ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة ، وهو يدير عينيه فيما حوله ..
كل شىء تبدَّل وتغيَّر ..
كل شىء اختلف ..
عشر سنوات صنعت الكثير فى هذا الوطن ، الذى ينبش الصخر ليلحق بركب الحضارة والتطوُّر ..

وارتفع صوت مصرىّ ، يقول بالإنجليزية :

ــ أتحتاج إلى سيّارة أجرة ؟

أدار عينيه إلى مصدر الصوت ، وابتسم ..

كان أمامه مواطن مصرى صميم ..

الوجه الأسمر ..

العينان البرَّاقتان ..

الشعر المجعَّد ..

وتلك الطاقية الصغيرة ..

واتسعت ابتسامته ، والرجل يكرّر بالإنجليزية :

ــ أتحتاج إلى سيّارة ؟.. أترغب فى البحث عن فندق جيّد ؟

أجاب بالعربية ، وفى لهجة مصريَّة خالصة :

ــ نعم .. أحتاج إلى سيارتك .

تراجع الرجل ، واتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يحدِّق جيِّدًا فى وجه (مراد) ..

لقد خدعته بشرته البيضاء ، وخدعه شعره الكستنائى ، وخدعته عيناه الخضراوان ، فظنه أجنبيًّا يبحث عن وسيلة مواصلات ..

وشعر (مراد) بالدهشة ، لخيبة الأمل التى ارتسمت على وجه السائق ، فابتسم فى ارتباك ، مغمغمًا :

ــ ألا تقلّ المصريِّين ؟

حدَّق الرجل فى وجهه طويلًا ، ونقَّل بصره إلى الحقائب الأربع الضخمة ، التى استقرَّت فوق حاملة الحقائب ، وبدا وكأنه يُجرى عملية حسابية فى رأسه ، قبل أن يهزّ كتفيه ، قائلًا :

ــ ولِمَ لا ؟

ثم استدرك فى لهجة بدت صارمة :

ــ مقابل ثلاثين جنيهًا .

ابتسم (مراد) فى ارتياح ، وهو يقول :

ــ كم يساوى هذا بالدولار الأمريكى ؟

تألقت عينا السائق ، وهتف فى لهفة :

ــ ثلاثة عشر دولارًا تقريبًا .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى شغف :

ــ ولو أنك تحمل المزيد من الدولارات ، يمكننى أن أمنحك سعرًا خاصًّا ، و .....

قاطعه (مراد) :

ـ فيما بعد يا رجل .. فيما بعد .

أسرع السائق بحمل الحقائب ، ويربطها فوق سقف سيَّارته فى إحكام ، بعد أن فتح باب السيَّارة لـ (مراد) ، وانحنى أمامه على نحو مبالغ فيه ، وهو يدعوه للدخول ..

وجلس (مراد) ينتظر انتهاء السائق من عمله ، وأفكاره تنطلق إلى الماضى ..

« مات والدنا يا (مراد) .. » ..

شحُب وجهه وهو يتذكَّر وجه شقيقته الوحيدة (مَها) ، وهى تلقِى تلك العبارة ، ثم تنهار باكية ..

لقد مات والدهما منذ خمسة عشر عامًا ، وتركهما وحيدين ، يتيمين ..

فقيرين ..

كانت الصفة الأخيرة هى أسوأ تلك الصفات .

صحيح أن والدها كان يربح الكثير ..

ولكنه كان ينفق أكثر ..

لم يكن ينفق على نفسه إلا أقل القليل ، فى حين كان يغدق عليهما بلا حساب ، وكأنه يسعى لتعويضهما عن وفاة أُمِّهما ، وهما بعد صغيران ..

وعندما تُوُفِّىَ والدهما ، كان (مراد) فى الخامسة عشرة ، وكانت شقيقته (مها) تكبره بعام واحد ..

وكان عليهما أن ينتقلا بغتة ، من حياة الأمان والرفاهية ، إلى حياة الخوف والفقر ..

وعلى الرغم من صغر سِنّ (مراد) ، أدرك أن عليه أن يعُول شقيقته الوحيدة ..

وأن يكافح من أجلها ..

ثم جاءت عمته وزوجها ، وابنهما (نادر) ، ليقيموا معهما ، بحجة رعايتهما ..

ولكن هذا لم يكن السبب الحقيقى ..

لقد كانت الشقة ..

نعم ..

شقتهما هى الشىء الذى أتى بعمتهما وأسرتها ..

ولكنه لم يدرك ذلك فى حينه ..

لم يدركه إلَّا عندما بدأ زوج عمته يتبرَّم من وجودهما ، وكأنه هو وشقيقته يقيمان فى شقة عمتهما ، لا العكس ..

وعندما أعلن هو ـ بعد عامين كاملين ـ أن الشقة تخصّه وشقيقته ، هاجمه زوج عمته فى عنف وثورة ، وأبرز له من

الأوراق مايثبت أن الشقة قد آلت إليهم قانونًا ، بعد قضاء عامين فيها ، وأن مالك البِناية قد حرَّر لهم عقدًا جديدًا ، مقابل مبلغ من المال ، و .....

قاطعه صوت السائق ، وهو يسأله فى اهتمام :

ــ أتبحث عن فندق ، أم أنك تقيم هنا ؟

شعر بالحَيْرة لحظة ، ثم اندفع يقول :

ــ شقيقتى تقيم هنا .

وتردَّد لحظة ، ثم أضاف :

ــ فى (مصر الجديدة) .

سأله السائق فى هدوء :

ــ أتعرف العنوان ؟

أجابه فى لهفة :

ــ بالطبع .

وأدلى إليه بالعنوان ، الذى يراسل عليه شقيقته ، طيلة العشر سنوات الماضية ، ثم عاد يسترخِى فى مقعده ، وعادت الذكريات تنساب فى أعماق كيانه ..

لقد ثار عندما أدرك أن زوجِ عمته قد اغتصب شقتهما .. ثار وراح يصرخ مطالبًا بحقِّه ، وحقِّ شقيقته ، ولكن

عمته اتَّهمته بالجحود ، وراح زوجها يخيِّره بين حلَّين لاثالث لهما ..

إما أن يرضخ للأمر الواقع ..

أو أن يغادر المنزل مع شقيقته ..

كان الحقير يطردهما من منزلهما ، بعد أن احتلَّه بالخديعة ..

وفى البداية ، فكَّر (مراد) فى أن يغادر المنزل ، ولكنه لم يلبث أن تذكَّر شقيقته ، وخشى أن يعذبها معه ، دون مأوى ، أو مصير معلوم ..

ورَضَخ ..

قبل أن يجلس فى المنزل صامتًا راضخًا .

ولكن رضوخه الظاهرى هذا كان يحمل فى أعماقه ثورة هادرة ..

ثورة جعلته يبحث عن عمل ..

وعلى الرغم من أنه كان ــ يومئذ ــ فى الثانوية العامة ، إلَّا أن هذا لم يمنعه من أن يبذل أقصى جهده ليعمل ويستذكر دروسه فى الوقت ذاته ..

وجعل أمر عمله سرًّا ، حتى لا يطالبه زوج عمته ببعض من أجره ..

ونجح فى الثانوية العامة ..

نجح بمجموع ضئيل ، جعله يلتحق بمعهد فوق المتوسِّط ، تنتهى دراسته فى عامين فحسب ..

وسَخَر منه زوج عمته ، وراح يقارن بينه وبين ابنه (نادر) ، الذى حصل على مجموع جيِّد ، جعله يلتحق بكلية التجارة ..

واحتمل (مراد) ..

احتمل ؛ لأنه لا يملك سوى أن يحتمل ..

ولكن احتماله هذا انهار بغتة ، عندما لم يكتف زوج عمته باغتصاب الشقة ..

لقد فوجئَ ذات صباح بشقيقته (مها) تهرع إليه باكية ، هاتفة :

ــ (مراد) .. إنهم يريدون أن يزوِّجونى (نادر) .

لحظتها شعر بالغضب ..

ماذا يفعلون به وبشقيقته ؟..

وسألها متوتِّرًا :

ــ وهل تقبلينه زوجًا ؟

هتفت فى انهيار :

ــ مطلقًا .. إننى أبغضه يا (مراد) .. أرجوك .. لا تجعلهم يزوِّجوننى إيَّاه .

لحظتها ضمّها إلى صدره فى قوة ، وقال فى حزم :

ــ لن تتزوَّجيه ..

وهكذا بدأت المأساة ..

* * *

« لقد وصلنا » ..

قالها سائق السيَّارة فى خُفوت ، وكأنما لاحظ شرود (مراد) ، فخشى أن يقطع عليه حبل أفكاره وذكرياته ..

وانتفض (مراد) ، وقد أعاده قول السائق إلى عالمه وزمنه ..

وراح يتطلَّع فى شوق إلى تلك البِناية ، التى تضمّ شقة شقيقته وزوجها ، وغمغم فى لهفة :

ــ أحقًّا وصلنا .

وعلى الرغم مما يتميَّز به ذلك السائق من مادِّيَّة واضحة ، إلَّا أن عاطفة ما قد تسلَّلت إلى قلبه ، وهو يتطلَّع إلى انفعال الفرح والشَّوق ، الذى ملأ ملامح (مراد) ، فوجد نفسه يتمتم فى حنان لم يعهده فى نفسه قَطُّ :

ــ سأنزل الحقائب .

غادر (مراد) السيَّارة ، وترك السائق يُنزل الحقائب ، وهو يتطلَّع إلى البِناية ، وذكرياته تنطلق مرَّة أخرى ..

لقد تفجَّر غضب عمته وزوجها وابنها عارمًا ، عندما أعلن لهم رفضه لهذا الزواج ، وصاح به الزوج ثائرًا :

ــ هل ترفض ابنى أيها الوقح ؟.. هل ترفض ابن الرجل الذى يؤويك فى منزله ؟

صاح (مراد) غاضبًا :

ــ أنسيت أنه منزلنا ، وأنك أنت وابنك هذا قد اغتصبتماه ؟

حدَّق الرجل فى وجهه فى دهشة وغضب ، قبل أن يهتف :

ــ كم أنت وقح .. الحقيقة هى أنك تغار من ابنى ، تغار من (نادر) ؛ لأنه التحق بكلية محترمة ، فى حين لم تلتحق أنت سوى بمعهد فوق المتوسِّط .. إنك تغار .

هتف (مراد) محنقًا :

ــ فليذهب ابنك هذا إلى الجحيم ، ولكنه لن يتزوَّج شقيقتى ، حتى ولو كان وزيرًا .

هتفت عمته فى غضب :

ــ كيف تجرؤ ؟

استوقفها زوجها ، وهو يقول فى صرامة ، وبلهجة من لا يقبل الجدل أو النقاش :

ــ اسمع يا (مراد) .. لقد قلت إن (نادر) سيتزوَّج (مها) ، ولن أقبل جدلًا فى هذا الأمر .. إما أن يتزوَّج بها (نادر) ، أو .....

بدا شديد الصرامة والقسوة ، وهو يتابع :

ــ أو تغادرا منزلى على الفور ، ولا تعودا إليه أبدًا .

وكانت لحظة حاسمة ..

لحظة قرار ..

مرَّة أخرى قاطعه السائق ، وهو يغمغم فى خُفوت :

ــ هل من خدمة أخرى ؟

التفت إليه فى شرود ، وتطلَّع إليه بنظرة خاوية ، وكأنما لم يره من قبل ، ثم لم يلبث أن هتف :

ــ آه !! معذرة !!

والتقط من حافظته ورقة مالية ، وضعها فى يد السائق ، الذى تطلَّع إليها مغمغمًا :

ــ ولكنها ورقة من ذات العشرين دولارًا ، ولست أملك باقيًا ، و .....

قاطعه (مراد) مبتسمًا :

ــ خذها كلها .

اتسعت عينا السائق فى دهشة ولهفة ، ثم هتف وهو يسرع إلى سيّارته ، وكأنما يخشى أن يتراجع (مراد) فى قوله :

ــ شكرًا يا سيِّدى .. شكرًا .

تابعه (مراد) وهو يبتعد بسيّارته ، ثم غمغم :

ــ يالسحر المال !

وتطلّع إلى حقائبه الأربع الضخمة ، ثم هتف مناديًا بواب البناية ، الذى جاءه مهرولًا ، فقال له فى هدوء :

ــ احمل هذه الحقائب إلى الدور الرابع ، شقة رقم خمسة عشر .

هتف البواب :

ــ كما تأمر يا سيِّدى .

ودون انتظار المِصْعَد ، راح (مراد) يقفز درجات السُّلَّم ، صاعدًا إلى الدور الرابع ، حيث شقة شقيقته وزوجها ، وتوقَّف أمام الشقة متردِّدًا ، لاهثًا ..

وراح يتساءل : كيف ستبدو شقيقته ؟..

إنه لم يرها منذ عشر سنوات كاملة ..

وبكل الشوق واللهفة ، ضغط جرس الباب ..

وسمع وقع أقدام تقترب ..

ثم فُتِحَ الباب ..

ومضت لحظات من الصمت ، وهو يحدِّق فى وجهها ، قبل أن تنطلق صيحتها مزغردة من أعمق أعماقها :

ــ (مراد) .

وألقت نفسها بين ذراعيه ..

لحظتها ، وهو يضم شقيقته إليه ، أدرك حقًّا أنه قد عاد .. عاد إلى موطنه ..

* * *

٢ ـ الحيـاة ..

الدفء ..

الأمان ..

كلمتان شعر بهما (مراد) فى أعماق وجدانه ، وهو يجلس فى رَدهة منزل (مها) ، وهى إلى جواره ، تغمره بحُبِّها وحنانها ، ولهفتها لرؤيته ، وكلماتها الدافئة المُفْعَمة بالأُمُومة تنطلق من بين شفتيها كالسَّيل :

ـ كيف أنت يا (مراد) ؟.. كيف طاوعك قلبك على هجرى طِيلة عشر سنوات ؟.. أنسيت أننى شقيقتك الوحيدة ؟.. أنسيت عذابنا وحبنا ؟

ربَّت على كفِّها فى حنان ، وهو يملأ عينيه بملامحها ، مغمغمًا :

ـ وكيف أنسى ؟

لمح سحابة حزينة تغمر عينيها ، وكأنما أعادتها الذكرى إلى عالم قديم ، فأسرع يبعدها عنه ، وهو يبتسم قائلًا :

ـ زاد وزنك يا (مها) .

تنهَّدت متمتمة :

ـ كل النساء يصيبهن ذلك بعد الزواج والإنجاب .

سألها وهو يمسح شعرها فى تعاطف :

ـ كيف حال زوجك ؟

ابتسمت قائلة :

ـ فى خير حال .. إنه فى عمله الآن ، وسيعود فى الثانية والنصف .

وتهلَّلت أساريرها ، وهى تضيف :

ـ أما ولدانا (ماهر) و (مراد) ، فهما فى مدرستهما ، وسيحضرهما والدهما معه ، عند عودته .

ابتسم لسماعه اسم (مراد) الصغير ، وتراخى جفناه دون وعى منه ، فهتفت (مها) :

ـ سأحضر لك منامة من منامات زوجى .. قُلْ لى : هل تناولت طعام الإفطار ؟.. هل أعدَّ لك كوبًا من الشاى ؟.. إنك تحب الشاى المصرىّ .. أليس كذلك ؟

قال فى ارتياح :

ـ إننى أتوق إليه .

هبَّت من مقعدها ، هاتفة :
ـــ سأحضر لك وجبة شهيَّة على الفور .
واندفعت إلى المطبخ ، مستطردة :
ـــ المهم ألَّا يغلبك النوم قبلها .
غمره مرَّة أخرى ذلك الشعور العارم بالارتياح والدفء ، فاسترخى فوق الأريكة الوثيرة ، وعاد يتأمَّل المكان فى غبطة ، ثم أسبل جفنيه ، وترك ذكرياته تنطلق مرَّة أخرى ..
لقد وضعه زوج عمته أمام خيارين لا ثالث لهما ..
إما أن يقبل زواج شقيقته من ابن عمته ، أو يغادر المنزل معها ..
واتخذ (مراد) قراره ..
لقد اغتصب زوج عمته الشقة ..
وهذا يكفيه ..
إنه لن يغتصب شقيقته أيضًا ..
لن يفعل ..
وبكل الحزم والعنف ، صاح (مراد) :
ـــ لا .. لن تتزوَّجه .
صرخ زوج عمته :

ـــ أخرج من بيتى .. اخرج .
وغادر (مراد) مع شقيقته منزلهما مطرودين ..
لم تعترض عمتهما ..
لم تحاول إنقاذهما من ذلك المصير الأسود ..
تركت زوجها يطردهما بلا رحمة ..
وكان هذا يَعْنِى أن يعمل (مراد) أكثر .. وأكثر .. وأكثر ..
وعمل (مراد) ..
راح يعمل ليل نهار ..
واتخذ له ولشقيقته حجرة متواضعة ، فى (بنسيون) صغير .
ومرَّت الأيام ..
و (مراد) يلهث ، ويلهث ، من أجل لقمة العيش ..
وبعد خمس سنوات من الجهاد ، تزوَّجت (مها) ..
تزوَّجت من شاب وسيم ، تميل أسرته إلى الثراء ، أحبَّها ، وتقدَّم يطلب يدها من شقيقها ..
ووافق (مراد) ..
وافق لأن شقيقته كانت سعيدة بالشاب ، راضية عنه ..

ولم تكد (مها) تتزوَّج ، وتستقر فى منزل الزوجية ، حتى شعر (مراد) بالارتياح ، وبأن المسئولية كلها قد انزاحت عن كاهليه ..

وسافر ..

سافر إلى (روما) ، بحثًا عن أمل ملأ قلوب نصف شباب عصره ، فى السبعينيات ..

ولم تكن رحلة حياته فى (روما) سهلة ..

لقد ذاق الأمرَّين ، حتى عثر على عمل فى شركة كُبرى لقطع غيار السيارات ، بذل فيها كل جهده ونشاطه ، حتى ارتقى سُلَّم النجاح ، وصار من كبار رجال الشركة ..

أيقظه صوت شقيقته من ذكرياته ، وهى تقول فى قلق :

ــ (مراد) .. هل استسلمت للنوم ؟

فتح عينيه ، وتسلَّلت إلى أنفه رائحة الأطعمة المصرية ، ممتزجة بعبير الشاى ، فابتسم مغمغمًا :

ــ لست مجنونًا لأنام تاركًا هذا .

ابتسمت فى حنان ، وهى تضع الطعام أمامه ، واتسعت ابتسامتها عندما أقبل عليه فى نهم واضح ، وتمتمت فى إشفاق :

ــ لقد كنت جائعًا حقًّا ..

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يواصل التهام الطعام ، فسألته فى حنان :

ــ أمازلت تعمل فى شركة قطع غيار السيَّارات هذه ؟

أجابها بفم امتلأ بالطعام :

ــ لقد صرت شريكًا فيها .

هتفت فى سعادة :

ــ أحقًّا ؟

أومأ برأسه إيجابًا مرَّة أخرى ، ثم تنهَّد ، والتقط كوب الشاى ، وارتشف منه رشفة فى تلذُّذ ، فهتفت هى :

ــ إنك لم تأكل شيئًا .

ابتسم مغمغمًا :

ــ ولكننى شبعت .

ربَّتت على كفِّه فى حنان ، قائلة :

ــ مازلت على عهدى بك يا (مراد) .. لاتتناول إلَّا القليل من الطعام .

قال وهو يلوِّح بكفِّه ، ويرتشف رشفة أخرى من الشاى :

ــ ولكننى أتناول الكثير من الشاى .

أطلَّ الحنان من عينيها ، وهى تقول :

ــ كم أوحشتنى يا (مراد) !
ابتسم وهو يقول :
ــ وأنت أيضًا يا (مها) .
سألته فى قلق :
ــ أهِىَ إجازة طويلة ، أم صفقة عمل سريعة ؟.
أجابها ضاحكًا :
ــ لا هذا ولا ذاك .
عقدت حاجبيها ، وهى تسأله فى حَيْرة :
ــ ماذا إذن ؟
مال نحوها ، وغمز بعينه ، وهو يقول :
ــ سأبقى إلى الأبد .
تهلَّلت أساريرها ، وهتفت فى فرح غامر :
ــ أحقًّا ما تقول يا (مراد) ؟
أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول مبتسمًا :
ــ نعم .. حقًّا ..
هتفت فى سعادة ، وهى تضمّه إلى صدرها فى حنان :
ــ حمدًا لله .. كم دعوت الله أن تفعل هذا يومًا .
ارتشف ما تبقَّى من كوب الشاى ، وقال وهو يعيده إلى المائدة ، ويسترخى فى مجلسه :

ــ لقد بلغت ما كنت أسعى إليه يا (مها) .. الثراء والقوَّة ، وآن أوان العودة ، والاستقرار فى موطنى .
غمغمت فى إشفاق :
ــ ولقد دفعت ثمن ذلك غاليًا ، فهأنتذا نحيل ، شاب فوداك فى الثلاثين من العمر .
تنهَّد فى عمق ، وهو يقول :
ــ ولكننى لم أنس .
ربَّتت على خدّه فى حنان ، وهى تقول :
ــ أنا نسيت .. نسيت كل إساءة تعرَّضت لها .
عاد يتنهَّد فى عمق ، ويقول :
ــ ربما تمتلكين القدرة على النسيان ، أو ربما لأنك قد قضيت السنوات العشر الماضية فى استقرار ، بين زوج محبّ ، وولدين رقيقين ، أما أنا فقد قضيتهما فى هوان وتعب ومشقة ، جعلتنى أتذكَّر فى كل لحظة ما حدث ، وما فعلوه بنا .
تمتمت فى قلق :
ــ لست أظنّك تسعى للانتقام .
قال فى صرامة :
ــ ولِمَ لا ؟

خَفَق قلبها فى لوعة ، وقالت فى توتُّر :

ــ (مراد) .. لاتضيّع عمرك فى قسْوَة وحقد .. عِشْ حياتك .. تمتع بشبابك .. تزوَّج .. اصنع لنفسك أُسْرَة .

غمغم فى صرامة :

ــ لم يَحِن الوقت بعد .

أرادت أن تنطق بكلمة أخرى ، ولكنه أسرع يستطرد :

ــ لقد حصلت على توكيل توزيع قطع غيار السيَّارات الإيطالية ، فى الشرق الأوسط كله .

هتفت (مها) فى سعادة :

ــ رائع .. هل يربح هذا كثيرًا ؟

هزَّ كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

ــ ثلاثة أو أربعة ملايين فى العام .

اتسعت عيناها فى انبهار ، ولبثت صامتة لحظات ، ثم هتفت :

ــ إذن فأنت ثرىّ حقًّا يا (مراد) .

مسح بيده على شعرها فى حنان ، وهو يقول :

ــ بحبِّك فقط ياعزيزتى .

سمع الاثنان صوت مفتاح يدور فى ثقب الباب ، فهتفت (مها) :

ــ لقد عاد (رفيق) والصغيران .

ولم يكد زوجها (رفيق) يفتح باب المنزل ، حتى هتف فى سعادة :

ــ (مراد) !.. يالها من مفاجأة !!

تعانق الرجلان فى حرارة ، وراح الصغيران : (ماهر) و (مراد) يصافحان خالهما ، الذى لم يرياه قَطُّ ، فى حذر ، لم يلبث أن تلاشى مع سيل اللُّعب والهدايا ، الذى غمرهما به ، فراحا يغمرانه بالقبلات بدوْرِهما ، حتى هتفت بهما والدتهما :

ــ هيَّا .. اذهبا لتلعبا فى حجرتكما ، فوالدكما وخالكما يحتاجان إلى بعض الراحة .

أسرع الصغيران إلى حجرتهما ، فى حين قال (رفيق) :

ــ هيَّا يا (مراد) .. أخبرنى بكل مامرَّ بك منذ سفرك إلى (روما) .

أحضرت (مها) أكواب الشاى ، وهما يتناقشان فى حرارة ، حتى شرح (مراد) لزوج شقيقته كل ماقصه على أخته ، فقال (رفيق) :

ــ هذا يَعْنِى أنك تحتاج إلى مكتب ، ومخزن .

أكملت (مها) :

ـ ومنزل وزوجة .

ضحك (مراد) ، قائلًا :

ـ فيما بعد .. العمل أوَّلًا .

مطَّت شفتيها ، وهى تقول فى تبرُّم :

ـ يا للرجال !.. تظنُّون دوْمًا أن العمل أهم من الزواج ، أو أنكم تخشون الأخير .

ضحك مرَّة أخرى ، قائلًا :

ـ ربما لأننا نعلم متاعب العمل ، ولكننا نجهل متاعب الزواج .

هتف (رفيق) ضاحكًا :

ـ سَلْنى إذن .

استغرق الثلاثة فى ضحك مرح ، ثم قال (رفيق) فى جدّيَّة :

ـ المهم .. هل ستبحث عن مكتب ومخزن ؟

ابتسم (مراد) ، وهو يقول :

ـ إننى أحتاج أوَّلًا إلى مدير حسابات .

قال (رفيق) فى حماس :

ـ يمكنك أن تنشر إعلانًا فى الصحف ، أو .....

قاطعه (مراد) مبتسمًا :

ـ لا .. إننى أعرفه شخصيًّا ، وهو يُدعى (رفيق) .

بُهِتَ (رفيق) لحظة ، وغمغم :

ـ ولكننى موظف بالفعل ، و .....

قاطعه (مراد) مرَّة أخرى :

ـ قُلْ لى : هل يمكنك أن تستقيل ، وتعمل معى بعقد دائم ، وبمرتب شهرى يبلغ ألف جنيه ؟

قبل أن ينبس (رفيق) ببنتِ شَفَة ، هتفت (مها) :

ـ بالطبع إنها فرصة نادرة .

عقد (رفيق) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ ليس إلى هذا الحدّ .. الأمر يحتاج إلى تفكير .

قال (مراد) فى هدوء :

ـ خُذْ كل ما يلزمك من وقت للتفكير ، المهم أن تجد لى محاميًا بارعًا .

سأله (رفيق) فى حَيْرة :

ـ محاميًا ؟!.. لماذا ؟

استرخى (مراد) فى مقعده ، وبدت فى عينيه نظرة غريبة ، وهو يقول :

ـ لكى أبدأ اللُّعبة .

ثم ابتسم وهو يسبل جفنيه ، مستطردًا فى تراخ :

ـ لُعبتى .

* * *



٣ ـ البداية ..

« .. (مراد) ؟!.. » ..

نطقها زوج عمته فى دهشة تمتزج بالاستنكار ، وهو يحدّق فى وجهه ، فابتسم (مراد) فى هدوء ، وهو يقول :

ـ صباح الخير يا أستاذ (نظمى) .. ألَنْ تدعونى للدخول ؟

عقد (نظمى) ، زوج عمة (مراد) حاجبيه فى شكٍّ ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ ماذا تريد ؟

أجابه (مراد) فى هدوء :

ـ زيارتكم فحسب يا أستاذ (نظمى) .. لقد عُدت من (إيطاليا) أمس ، بعد عشر سنوات .

غمغم (نظمى) فى دهشة :

ـ عشر سنوات ؟!

ثم أفسح له الطريق ، مستطردًا :

ـ حسنًا .. مرحبًا بك .. ادخل .

دلف (مراد) إلى شقته القديمة فى شوْق ، وراح يدير بصره فيها فى لهفة ..

لقد اختلفت الشقة كثيرًا ..

تنسيقها ..

ديكوراتها ..

كانت هناك لمسة رقيقة فى كل ركن ، بدت له غريبة على ذوْق عمته وزوجها وابنها ، إلَّا أنه لم يعلّق ، وهو يجلس فى حجرة الجلوس ، حتى حضرت عمته ، وهتفت بنفس الدهشة :

ـ (مراد) ؟!

نهض يصافحها فى هدوء ، وهو يقول :

ـ كيف حالك ياعمتى ؟

صافحته فى حَذَر ، وهى تقول :

ـ متى عُدت ؟

أجابها مبتسمًا :

ـ أمس فقط .

ثم أردف فى سرعة :

ـ ولكننى لم أنسَ هديتك بالطبع .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع رنين جرس الباب ، فقال فى سرعة :

ـ آه !! يبدو أنه البواب ، فقد طلبت منه حمل حقيبتكم .

قالت عمته فى دهشة :

ـ حقيبتنا ؟!

ابتسم ، قائلًا :

ـ نعم ياعمتى .. أعنى الحقيبة التى تحوى هداياكم .

تهلّلت أساريرها ، وهى تهتف :

ـ هدايانا ؟

ثم أسرعت إلى الباب فى لهفة ، وعينا زوجها تتابعانها فى اهتمام ، وشهقت هى حينما فتحت الباب ، وشاهدت الحقيبة الضخمة ، التى يحملها البوَّاب ، فى حين برقت عينا زوجها فى شراهة ، قبل أن يربِّت على ركبة (مراد) فى حرارة ، هاتفًا :

ـ كم أوحشتنا يا (مراد) .

ابتسم (مراد) فى خُبث ، مغمغمًا :

ـ وأنتم ياعمى .

لم تطق عمته صبرًا ، فراحت تفتح الحقيبة فى لهفة ، وشهقت مرَّة أخرى ، وهى تتطلّع إلى محتوياتها الفاخرة ، وتهتف:

ـ يا إلهى !!.. كل هذا يا (مراد).. يبدو أن هذا قد كلَّفك كثيرًا .

غمغم فى هدوء :

ـ إنه شىء بسيط يا عمتى .

راح يراقب شراهتهما فى استمتاع ..

كانت الحياة قد علَّمته سحر المال ..

علَّمته كيف يسيل لُعاب أعظم العظماء أمام المال ..

علَّمته أن كل إنسان ، مهما علا شأنه ، له ثمن ..

ولقد اعتاد هو أن يدفع الثمن دائمًا مقدَّمًا ..

ثمن لُعبته ..

وسمع عمته تهتف فى سعادة :

ـ انظر يا (نظمى) .. لقد أحضر لك حُلَّة فاخرة .. ومثلها لـ(نادر) ، وأحضر لى ثوبين وحذاء ، و.....

قاطعها زوجها :

ـ هذا لا يساوى شوقنا إليه .

ثم التفت إلى (مراد) ، يسأله :

ـ هل ستبقى هنا طويلًا يا (مراد) ؟

أجابه (مراد) مبتسمًا :

ـ إننى هنا لإنشاء أكبر توكيل فى الشرق الأوسط ، لقطع غيار السيارات الإيطالية .

أطلق (نظمى) صفيرًا طويلًا ، وهو يقول :

ـ وهل سترأس المشروع كله ؟

أجابه (مراد) فى بساطة :

ـ بالطبع ، فأنا أملكه .

شهقت عمته فى دهشة ، وحدَّق زوجها فى وجهه ، وهو يغمغم :

ـ تملكه ؟!

ابتسم (مراد) ، وهو يقول :

ـ نعم يا عمى .. لقد أصبحت ثريًا .

ثم أضاف فى سرعة :

ـ ولكن أين (نادر) ؟.. كيف هو الآن ؟

مطَّ (نظمى) شفتيه ، وهو يغمغم فى ضيق :

ـ إنه موظف فى بنك ، ويتقاضى للثمانئة جنيه شهريًا .

هتف (مراد) مستنكرًا :

ـ فقط .

غمغمت عمته فى توتُّر :

ــ إنه أفضل مرتب لشاب فى سنّه هنا .
لوّح (مراد) بذراعه ، قائلًا :
ــ لا .. هذا لا يكفى .
ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا :
ــ ماذا لو عمل معى ؟
قالت عمته فى لهفة :
ــ معك ؟!
أجابها (مراد) :
ــ نعم ياعمتى .. إننى أقصد أن يعمل فى شركتى الجديدة ، وسأمنحه ضعف مرتبه .
هتف زوج عمته مبهُورًا :
ــ ضعفه ؟!
قال (مراد) :
ــ بل ضعفيه ، على أن ينهى استقالته من البنك خلال أسبوع على الأكثر .
هتف (نظمى) فى حماس :
ــ سأجعله ينهيه فى يوم واحد لو أردت .
ابتسم (مراد) فى ثقة ، وهو يقول :

ــ وماذا عنك ياعمى ؟
أسرع (نظمى) يقول :
ــ إننى أتقاضى مائتى جنيه فحسب ، فلست سوى موظف حكومىّ بسيط ، و .....
قاطعه (مراد) فى حزم :
ــ ما رأيك فى ثمانمائة جنيه ؟
بُهِتَ الرجل لحظة ، فصاحت زوجته :
ــ إنه يوافق بالطبع .
اتسعت ابتسامة (مراد) ، وهو يقول :
ــ رائع .. هكذا يمكننى أن أثق فى طاقم الإدارة تمامًا .
واسترخى فى مقعده ، مستطردًا :
ــ متى يمكننا توقيع العقود إذن ؟
أجابته عمته فى حماس :
ــ غدًا لو أردت .
ثم أردفت ، وهى تتبادل نظرة مع زوجها :
ــ بعد أن تتناول معنا طعام العشاء .
نهض (مراد) ، وهو يقول :
ــ اتفقنا .

تشبَّث زوج عمته ، هاتفًا :

ـ ولكنك لم تتناول شيئًا بعد .

أجابه مبتسمًا :

ـ اطمئن ياعمى .. سأعود .

وأدار عينيه فى المكان ، قبل أن يستطرد فى صوت خافت ، يجمع مابين الحزم والصرامة ، والأمل والثقة :

ـ سأعود بلا شك .

وفتح باب الشقة لينصرف ..

وخفق قلبه بغتة فى قوة ..

ووقع بصره على أجمل مارأت عيناه ..

على نبع من الفتنة والرِّقة والصفاء ..

على أوَّل من خفق لها قلبه ..

(منى) ..

* * *

٤ ـ اللقـــاء ..

التقت العيون ..

ولأوَّل مرة فى حياة (مراد) ، خفق قلبه ، وهو يتطلَّع إلى وجه (منى) ..

كانت رقيقة كنسمة صباح هادئة ..

ناعمة كرياح الجنة ..

جميلة كزهرة يانعة ..

كل مافيها كان مصريًّا فاتنًا ..

بشرتها قمحية ، فى لون جميل فاتن ، تبذل الغربيات أقصى جهدهن لينلن مثله ..

عيناها سوداوان ، فى لون ليل بلانجوم ، حُفَّتا برموش طويلة ، تناسقت مع ذلك التاج من الشعر الأسود الناعم ، الذى ينسدِل من رأسها إلى كتفيها فى رقَّة بالغة ..

شفتاها فاكهة عذراء ناضجة ، اختارتها الدماء تمنحها لونها الداكن والتماعتها البرَّاقة ..

ولقد اتفق ثوبها مع ملامحها كثيرًا ..
كان ثوبًا رقيقًا أسود اللون ، بلا تعقيدات أو طرز غير مألوفة ..

وعندما التقت عيناها بعينى (مراد) سرت فى جسده صاعقة ناعمة ..
صاعقة افتتان ..
ولم ينبس ببنتِ شَفَة ..
ولا هى فعلت ..
كلاهما راح يملأ عينيه بوجه الآخر ، كأنمًا قد عثر على بُغية طال بحثه عنها ..
وقطع صوت (نظمى) صمتهما ، وهو يقول :
ــ (منى) !.. طريف أن غُدت مبكّرةً ، لتلتقى بـ(مراد) ، قبل أن ينصرف .
مرَّة أخرى راح كل منهما يملأ عينيه بملامح الآخر ، وقلبه يهتف باسمها ..
(منى) ..
اسم رقيق كهيئتها ..
ولكن من هى ؟..

لم يكد السؤال يدور فى رأسه ، حتى أجابه (نظمى) ، وكأنما سمعه :
ــ ألا تذكر (منى) يا (مراد) ؟.. إنها ابنة شقيقى (مدحت) ــ رحمه الله ــ وهى تقيم معنا منذ وفاته .
ردَّد (مراد) فى خُفوت :
ــ (منى) !!
كانت لهجته تحمل كل هيامه وانفعاله ، حتى أن وجه (منى) قد تضرَّج بحُمرة الخجل ، وأطرقت بعينيها أرضًا ، فى حين التفت إليها (نظمى) ، قائلًا :
ــ هذا (مراد) يا (منى) ، الذى سافر إلى (إيطاليا) منذ عشر سنوات .
غمغمت فى رقَّة متناهية ، ودون أن ترفع عينيها إليه :
ــ حمدًا لله على سلامتك .
تمتم وقد خلبت رِقَّتها لُبَّه :
ــ شكرًا لك .
ثم مدَّ يده ليصافحها فى لهفة ..
ومدَّت يدها إليه ..
وتلامست أصابعهما ..

والتهبت ..

نعم .. لم تكد أصابعهما تتلامس ، حتى خُيِّل إليه أن أصابعه تلتهب شوقًا إليها ، فاحتضن كفَّها فى راحته طويلًا ، مما جعل حُمرة خجلها تتضاعف ، دون أن ترفع عينيها إليه ، أو تجرؤ حتى أن تفعل ..

وأخيرًا ترك كفَّها ، وهو يغمغم :

ـــ لقد أدركت الآن سرَّ الديكورات الرقيقة فى الشقة .

ضحك (نظمى) ، وقال فى فخر :

ـــ (منى) مهندسة ديكور موهوبة .

واستطرد يسأله فى لهفة :

ـــ ألا تحتاج شركتك إلى مهندسة ديكور ؟

أجابه (مراد) فى سرعة :

ـــ بالطبع .

ثم عاد يلتفت إلى (منى) ، مستطردًا فى خُفُوت :

ـــ سنلتقى غدًا على العشاء .

وأسرع ينصرف ، قبل أن تغلبه مشاعره ..

ولم يفارق وجهها ذهنه لحظة واحدة ، وهو ينطلق عائدًا إلى منزل شقيقته ..

كانت بالنسبة إليه هى الفتنة مجسَّمة ..

لقد التقى بعشرات الفتيات فى (روما) ، كان بعضهن أشبه بملكات الجمال ، ولكنه لم يشعر تجاههن بذرَّة واحدة من ذلك الشعور الرائع ، الذى يشعر به تجاه (منى) ..

إنها لم تكن جميلة فحسب ..

كانت أيضًا رقيقة ..

بل هى الرِّقَّة مجسَّمة ..

ولقد اعتاد الجمال فى حياته ، حتى لم يَعُد يجذبه ..

الرِّقة وحدها تُبهره وتخلُب لُبَّه ..

و (منى) هذه كنسمة صباح رقيقة ، تمسّ شغاف القلب فى حنان ، وتطبع فيه أثرًا لا يُمحى ..

وعندما بلغ منزل شقيقته ، لاحظت ما أصابه على الفور ، فهتفت به :

ـــ ماذا حدث ؟.. هل قابلت إلٰه الحظ بنفسه ؟

هتف فى سعادة واضحة :

ـــ بل إلٰهة الرِّقَّة والجمال .

ردَّدت خلفه فى دهشة :

ـــ إلٰهة الرقَّة والجمال ؟!

ثم ابتسمت فى حَيْرة ، مستطردة :

ــ ما الذى يَعْنيه هذا ؟

أطلق ضحكة صافية ، وهو يقول :

ــ لا عليك .. لا تشغلى عقلك بكل ما أقول .

قالها واندفع نحو تلك الحجرة ، التى منحته أخته إيَّاها ، فهتفت وهى تندفع خلفه :

ــ إنها فتاة .. أليس كذلك ؟

انحنى يطبع قُبلة على وجنتها ، وهو يجيب فى مرح :

ــ بلَى .. إنها كذلك !

تهلَّلت أساريرها ، وهى تقول فى فرح :

ــ لا ريب أنها رائعة إذن ، فقد غيَّرتك تمامًا .

خُيِّل إليها أنها قد أطلقت عليه رصاصة ..

بل قنبلة ..

لقد تسمَّر فى مكانه بغتة ، وانعقد حاجباه فى قوَّة ، وفقدت ملامحه تألُّقها ومرحها بغتة ، مما جعلها تغمغم فى قلق :

ــ ماذا حدث يا (مراد) ؟

لم يسمع سؤالها ..

كان عقله يسبح بعيدًا ..

بعيدًا جدًّا ..

غيَّرته تمامًا ؟!

ومن قال إنه يرغب فى أن يتغيَّر ؟..

إنه يصرّ على أن يبقى كما هو ..

حاقدًا ..

منتقمًا ..

كيف أسرته هذه الفتاة من اللقاء الأوَّل ؟..

بل كيف سحرته من النظرة الأولى ؟..

كيف نسى أنها تنتمى إلى (نظمى) ؟..

إلى الرجل الذى اغتصب منزله ، وطرده مع شقيقته إلى العراء ..

إنه لن ينسى هذا ..

أبدًا لن ينساه ..

لقد أصرَّ طِيلة السنوات العشر الماضية على ألَّا ينسى ..

على أن يتذكَّر دوْمًا ما حدث ..

يتذكَّر قسوة عمته وزوجها ..

يتذكَّر خيانتهما وخِسَّتهما ..

لقد ظل يذكى تلك النيران بكل ما واجهه من مصاعب ومشاق ..

كان يقتحم الآلام ليذكر ..
يقاتل الهوان كيلا ينسى ..
لا .. لن يتغيَّر .
لن تغيّره (منى) ..
لن تلغى مشاعره ، حتى ولو كانت أرقّ من نسمة الصباح ..
ومرَّة أخرى سألته (مها) فى قلق :
ـــ ماذا حدث يا (مراد) ؟
فى هذه المرَّة سمع سؤالها ، فالتفت إليها فى بطء ، وقد فقدت عيناه بريقهما ، وقال :
ـــ لم يحدث شىء يا (مها) .
اقتربت منه فى قلق ، ووضعت كفّها على كتفه ، قائلة فى حنان :
ـــ أجبنى فى صراحة يا (مراد) .. أهِىَ فتاة ؟
ظل صامتًا جامدًا لحظات ، قبل أن يجيب فى هدوء :
ـــ نعم .. إنها فتاة .
غمغمت فى حَيْرة :
ـــ ولماذا تبدَّلت هكذا؟.. لقد عُدت إلى المنزل مبتهجًا ،

حتى خِلتُك تسبح فى سماء السعادة ، وفجأة تحوَّلت إلى شخص قاسٍ .. ماذا حدث يا (مراد) ؟.. ماذا أصابك ؟
عقد حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :
ـــ من الخطإ أن يحب القتيل إنسانة تنتمى إلى قاتله .
هتفت فى هَلَع :
ـــ قاتله ؟!
ثم أمسكت ذراعه فى قوة ، مستطردة :
ـــ أخبرنى بالحقيقة يا (مراد) .. لاتتحدَّث معى بهذا الأسلوب الغامض المخيف .. إننى شقيقتك الوحيدة .. أخبرنى كل ما داخَلَك .
أجابها فى برود :
ـــ فيما بعد يا (مها) .. فيما بعد .
وعندما أزاح يدها عن ذراعه ، ودلف إلى حجرته ، وأغلق بابها خلفه ، أدركت أنه لم يَعُد (مراد) الذى عرفته قديمًا ..
لقد صار شخصًا آخر ..
شخصًا مخيفًا ..

* * *

٥ ـ دعوة للعشاء ..

على الرغم من إصراره الشديد ، على ألَّا يدع فى قلبه مكانًا للعواطف ، إلَّا أن (مراد) لم يكد يجد نفسه أمام باب شقته القديمة ، حتى راح قلبه يخفق فى لهفة ، وراح عقله يتمنَّى أن تفتح هى الباب ، ليراها بعينيه ، ويشتمّ نسيم رقَّتها الهفهاف ..

ولكن أمله لم يتحقَّق ..

لم تفتح هى الباب ، بل فتحه (نادر) ، الذى هتف فى حرارة :

ـ (مراد) .. حمدًا لله على سلامتك .

مدَّ (مراد) يده يصافحه ، وهو يرسم على وجهه ابتسامة ، لم تنجح فى محو آثار خيبة الأمل فى ملامحه ، إلا أن (نادر) عانقه فى حرارة مفتعلة ، جعلته يشعر برغبة قويَّة فى أن يلكمه على أنفه ، إلَّا أنه تمالك نفسه ، وهو يسمعه يهتف :

ـ كم أوحشتنا يا (مراد) !!.. كيف حالك ؟.. وكيف حال (روما) ؟

غمغم (مراد) ، وهو يبذل أقصى جهده ؛ ليحتفِظ بتلك الابتسامة الباهتة على شفتيه :

ـ كلانا بخير حال .

قال (نادر) فى لهفة :

ـ لماذا تقف عند الباب هكذا ؟.. ادخل .. إننا ننتظرك فى شوق .

دخل إلى شقته فى هدوء ، وقد سَرَت فى جسده نفس تلك القُشَعْرِيرَة ، التى سَرَت فيها ، وهو يغادر نفس الشقة مطرودًا ، منذ اثنى عشر عامًا ..

ولقد استقبلته عمته وزوجها بحفاوة ، وبنفاق بعث فى نفسه شعورًا بالغَثَيان ، وإن نسِىَ كل هذا ، وهو يبحث بعينيه عن (منى) فى لهفة ، قبل أن تقول عمته ، وهى تضع مع زينتها المفرطة ابتسامة عريضة :

ـ هل تحب أن تتناول طعام العشاء الآن ؟.. لقد أعددْت لك عشاءً شهيًا .

وجدها فرصة مناسبة ؛ ليسأل :

ـ ألن ننتظر الآنسة (منى) ؟

ضحك زوج عمته ، وهو يقول :

ـ سنموت جوعًا إذن ، فهى لاتتناول طعام العشاء أبدًا .

سأله فى دهشة :

ـ كيف ؟

هزَّ (نظمى) كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

ـ إنها تتبع نظام حمية خاصًا .

لم يهتمّ (مراد) بالجواب كثيرًا ، وهو يسأله :

ـ هل تنام مبكّرةً إذن ؟

أجابته العمة :

ـ على العكس .. إنها تعود من عملها متأخّرة .

عقد حاجبيه ، وهو يتمتم فى استنكار :

ـ عملها ؟!.. أى عمل هذا ؟

هتف (نادر) فى تبرُّم :

ـ هل سنتحدَّث طِيلة الليل عن (منى) ؟

أحنقه قول (نادر) ، الذى بتر رغبته الفعلية فى جمع أكبر قدر من المعلومات عنها ، وغمغم مضطرًا :

ـ لا بالطبع .

ثم أضاف فى جِدِّيَّة :

ـ الآنَ نوقِّع العقود ، أم بعد العشاء ؟

هتف (نادر) فى لهفة :

ـ الآن .

حَدَجَه والده بنظرة صارمة ، وكأنما يعاتبه على إظهار جشعه على نحو صريح هكذا ، ثم أسرع يقول :

ـ لو أنك تريد ذلك .

احتقن وجه (نادر) ، وانكمش فى مقعده أمام نظرات والده ، فابتسم (مراد) فى سُخرية ، وهمَّ بإلقاء عبارة لاذعة ، إلَّا أنه أمسك لسانه فى اللحظة الأخيرة ، وهو يقول فى بساطة :

ـ لا بأس .. فلننته من الأعمال أوَّلًا .

وتناول حقيبته ، وأخرج منها عقدين كُتِبا بالآلة الكاتبة ، ناول أحدهما لـ(نظمى) والآخر لـ(نادر) ، وهو يقول :

ـ فليقرأ كل منكما عقده جيِّدًا .

قفزت عين كل منهما إلى خانة الأجر فحسب ، كما توقَّع هو تمامًا ، وتألَّقت عينا (نادر) فى جشع ، فى حين هتف (نظمى) فى فرحة غامرة ، وهو يختطف قلمه ، ويوقِّع العقد :

ـ إننا نثق بك يا (مراد) .. أنت ابننا .

وقَّع كلاهما العقد على الفور ، دون مراجعة بنوده ، فحصل (مراد) على نسختيه ، وأودعهما حقيبته ، وأغلقها فى إحكام ، وهو يقول :

ــ هكذا ستصبح الشركة عائلية ، فسيتولَّى (نادر) خزانتها ، وسيعمل عمِّى (نظمى) فى منصب مدير المبيعات .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة ، وهو يستطرد فى ارتياح :

ــ وهذا ما تمنَّيتُه تمامًا .

نقَّلت العمة بصرها بين وجهى زوجها وابنها فى لهفة ، ثم هتفت فى سعادة :

ــ والآن فلنتناول العشاء .

لم يكد يستقر بهم المقام، حول المائدة الحافلة بأشهى الأطعمة ، حتى تناهَى إلى مسامع (مراد) صوت باب الشقة يُفتح فى خُفوت ، ورأى (نظمى) يدير عينيه إليه ، ويقول فى لامبالاة :

ــ ها هى ذى (منى) قد وصلت .

خفق قلب (مراد) بين ضلوعه فى لهفة ، وهو يسمع وقْع خطواتها الرقيقة من خلفه ..

كان يلتهب شوقًا للالتفات إليها ، ورؤية نبع الرِّقَّة فى ملامحها ، إلَّا أنه سيطر على انفعاله فى قوَّة ، حتى سمعها من خلفه ، تقول فى نَغَم عذب رقيق :

ــ مساء الخير .

عندئذ فقط انهارت مقاومته ..

عندئذ فقط أدرك أنها قد خَلَبَتْ لُبَّهُ وسحرته ..

وفى لهفة واضحة ، أدار عينيه إليها ، وتسمَّر فى مكانه ..

كانت كأنها قد ازدادت فتنة ورقة ، ما بين ليلة وضحاها ..

أو أنه قد هام بها حتى النخاع ..

وفى بطء ، مدَّ يده يصافحها ، ولاحظ ارتباكها فى البداية ، ثم ارتجافة أصابعها ، وهى تمتد إليه ..

وعندما صافحها ، شعر وكأن راحته تضم نسمة رقيقة ..

كانت أصابعها صغيرة رقيقة منمنمة ..

وكانت ترتجف ..

وحاول أن يصافحها فى سرعة ، ويبعد يده عن يدها ، إلَّا أنه عجز تمامًا ..

لقد بدا له وكأن أصابعه قد التصقت بأصابعها ..

وأن ارتجافتها قد انتقلت إلى يده ..
وإلى قلبه ..
إلى كيانه كله ..
وفى ضجر سألتها العمة :
ــ أتحبِّين تناول طعام العشاء معنا ؟
كانت تسألها فى لهجة من تملى عليها جوابًا بالنفى ، فأطرقت (منى) برأسها ، وتمتمت ، وقد امتقع وجهها بعض الشىء :
ــ لا .. شكرًا .
قال فى لهفة ، وكأنما يخشى أن تبتعد عنه :
ــ شاركينا المائدة على الأقل .
تردَّدت لحظة ، فأضاف متمتمًا ، فى لهجة بدت أقرب إلى الضراعة :
ــ من أجلى على الأقل .
رفعت عينيها إلى زوج عمته ، وكأنها تسأله المشورة ، فابتسم وهو يقول فى حرارة تفُوح برائحة النفاق :
ــ إنها ستجلس من أجلك بالطبع .
بدت متردِّدة بعض الشىء ، فنهض (مراد) ، وجذب المقعد المجاور له ، وكأنه يدعوها للجلوس ، فغمغمت فى رقَّة :
ــ شكرًا .

قالتها بفرنسية رقيقة ، وجلست فى هدوء ، وكأنها تخشى أن تؤلم المقعد ، وأسرع هو يجلس إلى جوارها ، ويسألها فى اهتمام :
ــ أتعودين من عملك فى وقت متأخِّر هكذا يوميًا ؟
تمتمت فى حياء :
ــ تقريبًا .
سألها فى اهتمام :
ــ وأين تعملين ؟
أجابته وكأنها تخشى رفع عينيها إليه :
ــ فى مكتب خاص للديكور .
سألها فى سرعة :
ــ وكم تتقاضين هناك ؟
احمرَّ وجهها بمزيد من الخجل ، ولاذت بالصمت بعض الوقت ، حتى أنه شعر بالحرج ، فتمتم معتذرًا :
ــ هل كان سؤالى هذا سخيفًا ، أو خاليًا من اللياقة ؟
هتفت فى رقة :
ــ مطلقًا .
رفعت عينيها إليه لحظة ، ولم تكد عيونهما تلتقى ، حتى تضاعف احمرار وجهها خجلًا ، فأسرعت تطرق به فى سرعة ، وهى تجيب :
ــ إننى أتقاضى ما يقرب من مائة وخمسين جنيهًا شهريًا .

هتف (مراد) مستنكرًا :

ـ فقط ؟!

تمتمت :

ـ إنها تكفينى .

قال فى حماس :

ـ ولكنك تستحقين ما هو أكثر .

ابتسمت فى رقَّة ، وهى تقول :

ـ كيف عرفت ؟

أشار إلى ديكور الشقة ، وهو يهتف فى حرارة :

ـ لو أنك صاحبة هذه الديكورات الرقيقة المبتكرة ، فأنت تستحقين ما هو أكثر حتمًا .

ثم مال نحوها ، مستطردًا :

ـ ما رأيك فى منصب مدير مكتب الديكور ، ومرتَّب يبلغ ما يزيد على .....

قاطعته بغتة :

ـ شكرًا لك .. لست مستعدَّة للتخلِّى عن عملى الحالىّ .

مطَّت عمته شفتيها ، وقلَّبت شفتها السفلى فى امتعاض ،

وهى تلقى على (منى) نظرة غيظ وازدراء ، وعقد (نظمى) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ كم تشبهين والدك !

أما (نادر) ، فقد سأل فى لهفة :

ـ كم يبلغ مرتبها فى هذه الحالة يا (مراد) ؟

أجابه (مراد) ، دون أن يلتفت إليه :

ـ حوالى ألف جنيه تقريبًا .

شهقت العمة ، وارتفع حاجبا (نظمى) ، وهتف (نادر) :

ـ ألف جنيه شهريًّا ؟!

قال (مراد) ، وكأنما يلقى حولها مزيدًا من الإغراءات :

ـ إلى جانب نسبة من الأرباح .

هتف (نادر) فى جشع :

ـ كم تبلغ ؟

قالت (منى) فى ضيق :

ـ لا يهمّنى كم تبلغ .. إننى لست مستعدة لترك عملى الحالىّ .

صاحت عمته فى سُخْط :

ـــ أتحبِّين الفقر ؟

بدا وكأن العبارة قد جرحتها ، أو أصابت فيها وتـــرًا حسَّاسًا ؛ فقد اكتست ملامحها بسحابة حزن ، انفطر لها قلب (مراد) ، وهى تقول :

ـــ لا .. لا أحد يحبه ، ولكن النقود ليست مقياس الاختيار الوحيد فى الحياة .

تمتم (نظمى) فى سُخْط :

ـــ هُرَاء !

أما (مراد) ، فقد شعر بفضول حقيقى ، وهو يسألها :

ـــ لماذا ترفضين ترك عملك الحالىّ إذن ؟

تردَّدت لحظة ، ثم قالت :

ـــ إنهم يعاملوننى معاملة جيِّدة .

أجابها فى هدوء :

ـــ وما أدراك ؟.. ربما أعاملك أنا على نحو أفضل .

تردَّدت لحظة أخرى ، وقالت :

ـــ ليس من اللائق أن أتركهم هكذا .

هزَّ (مراد) كتفيه ، وهو يقول :

ـــ لماذا ؟.. الإنسان يسعى دَوْمًا خلف الأفضل ، وهذا هو النجاح .

بدا تردُّدها وارتباكها واضحين هذه المرَّة ، وهى تدير عينيها فيما حولها ، وكأنها تبحث عن مخرج ، قبل أن يقول (نادر) :

ـــ ربما لا ترغب فى العمل بعد الزواج .

بدت العبارة أشبه بصدمة كهربائية ، بالنسبة لـ (مراد) ، الذى انتفض جسده ، وهو يقول فى لهجة أشبه بالذُّعر :

ـــ الزواج ؟!

بدا الضِّيق على وجه (منى) ، وأشاحت بوجهها فى مرارة واضحة ، فى حين استطرد (مراد) :

ـــ وما شأن الزواج بالعمل ؟

ابتسم (نادر) ، وهو يقول فى زَهْو :

ـــ أنا شخصيًّا لا أحب أن تعمل زوجتى .

ثم التفت إلى (منى) ، مستطردًا بابتسامة عريضة :

ـــ وسنتزوَّج أنا و (منى) قريبًا .. قريبًا جدًّا ..

* * *

٦ ــ الحُــمَم ..

بركان من الحنَق راح يغلى ويفُور فى أعماق (مراد)، ويلقى بالحُمَم الملتهبة فى حجرات قلبه الأربع ، وهو فى طريق العودة إلى منزل شقيقته ..

سيتزوَّجان إذن !!..

(نادر) و (منى) سيتزوَّجان !!..

لم يتزوَّج ذلك الحقير ، منذ رفض هو زواجه من شقيقته ..

كان وكأنه ينتظر ، حتى يختطف منه فتاة ثانية ..

وكأنه يذكى حُمَم الغضب ، ونيران الانتقام فى أعماقه ..

كم يبغضه أكثر هذه المرَّة !!

كم يكرهه !!

لقد كان السبب قديمًا فى طرده وشقيقته من شقتهما ..

واليوم يطرد الحبّ من قلبه ..

أوَّل حبّ يطرق باب عواطفه منذ زمن ..

راحت الحُمَم تتدفَّق ملتهبة فى أعماقه ، حتى عاد إلى المنزل ، واستقبله (رفيق) هاتفًا :

ــ أين أنت ؟.. إننى أنتظرك منذ فترة .

سأله فى هدوء :

ــ هل تقدَّمت باستقالتك ؟

هزَّ (رفيق) رأسه نفيًا ، وقال فى حزم :

ــ بل حصلت على إجازة بدون مرتب لعام كامل .

وصمت لحظة ، ثم استطرد :

ــ من الأفضل ألَّا يندفع المرء هكذا .

وافقه (مراد) بإيماءة من رأسه ، وقال :

ــ هذا شأنك .

أضاف (رفيق) ، وهو يشعل سيجارته :

ــ وبالنسبة للشقة والمخزن والمحل ، فلدىَّ لك مفاجأة رائعة .. لقد عثرت على شركة تصوير ترغب فى إنهاء نشاطها ، وتملك شقة ومحلًّا ومخزنًا فى بِناية واحدة ، فى واحد من شوارع وسط المدينة ، ولكن .....

صمت لحظة فى تردُّد ، فسأله (مراد) فى هدوء :

ــ ولكن ماذا ؟

تردَّد (رفيق) لحظة أخرى ، ثم مال نحوه ، قائلًا فى حزم :

ــ ولكنهم يطلبون مبلغًا رهيبًا .

سأله فى بساطة :

ـ كم ؟

تراجع (رفيق) فى مقعده ، ونفث دُخان سيجارته فى عمق ، قبل أن يقول فى لهجة من يستَهوِل الأمر :

ـ مليون جنيه دفعة واحدة .. ونقدًا .

صمت (مراد) لحظات ، ثم مطَّ شفتيه ، قائلًا :

ـ لا بأس .. أرسل المحامى ليوقِّع معهم العقود غدًا .

ارتفع حاجبا (رفيق) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ أتدفع مليون جنيه دفعة واحدة ؟

قالت (مها) فى سعادة ، وهى تضع أمامهما أكواب الشاى ، وتربِّت على كتف شقيقها فى زهوٍ :

ـ ألَمْ أقُلْ لك إن أخى قد عاد ثريًّا ؟

ابتسم لها (مراد) فى حنان ، وقال لـ (رفيق) فى جدِّيَّة :

ـ إنه منطق تجارىّ بحت يا عزيزى .. المشروع سيربح ثلاثة أو أربعة ملايين جنيه سنويًّا ، طبقًا للتقديرات المبدئية ، فلِمَ لا ندفع ثمن أرباحنا ؟

تنهَّد (رفيق) ، وهو يقول :

ـ أنت على حق .

ثم ابتسم مستطردًا :

ـ يبدو أننى سأستغرق وقتًا طويلًا ، قبل أن أتكيَّف على التعامل مع هذه الأرقام ، ذات الستة أصفار .

ابتسم (مراد) ابتسامة باهتة ، ثم قال فى لهجة حازمة بعض الشىء :

ـ لقد تعاقدت مع مسئول خزانة ، ومدير مبيعات .

هتف (رفيق) فى دهشة :

ـ بهذه السرعة ؟

ابتسم (مراد) ابتسامة أقلقت شقيقته ، ودفعت قلبها إلى أن يزيد نبضاته بعض الشىء ، وهو يجيب :

ـ إنك تعرفهما جيِّدًا .. زوج عمتى (نظمى) ، وابنه (نادر) .

ارتجف قلب (مها) بين ضلوعها فى قوَّة ، وانعقد حاجبا (رفيق) فى شدة ، وساد المكان صمت تام ، قبل أن تقول (مها) فى قلق متوتِّر :

ـ ماذا تدبِّر بالضبط يا (مراد) ؟

ابتسم (مراد) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ لا شىء يا شقيقتى العزيزة .. اطمئنى .

هتفت فى توتُّر :

ــ لماذا إذن (نظمى) و (نادر) بالذات ؟

أجابها فى تكاسل :

ــ الأقربُون أوْلَى بالمعروف .. أليس كذلك ؟

قالت فى حِدَّة :

ــ ليس هذا ما تقصده .

أجاب فى برود :

ــ وهل قرأت ما يحتويه قلبى ؟

ثم نهض فى بساطة ، واتجه إلى حجرته ، مستطردًا :

ــ معذرة .. إننى أحتاج إلى بعض الراحة ، فقد قضيت يومًا مرهقًا .

تبعاه ببصرهما وهو يدلف إلى حجرته ، ويُغلق بابها خلفه ، ثم قالت (مها) :

ــ لست أشعر بالارتياح ، يا (رفيق) .

أجابها زوجها ، وهو يعقد حاجبيه فى شدة :

ــ ولا أنا ..

ثم أضاف بعد وهلة من الصمت :

ــ شقيقك يدبِّر شيئًا يا (مها) .. شيئًا مخيفًا .

ولكنه لم يستنتج أبدًا ما يدور فى عقل (مراد) ..

حتى (مراد) نفسه لم يكن يفكِّر فى هذا الأمر ، وهو يستلقى على فراشه مستيقظًا ، فى هذه اللحظة ..

كانت أفكاره كلها تنحصر فى شخص واحد ..

(منى) ..

كان يسترجع جمالها الرقيق ، وصوتها العذب ..

كان يحلُم بملمس أصابعها ..

برقَّتها ..

بارتجافتها ..

ثم راحت صورتها تتلاشى فى بطء ، ليحتلّ وجه (نادر) مكانها على نحو سخيف ..

حتى أحلامه ، اغتصبتها تلك العائلة ..

حتى مشاعره ..

حاول أن يستسلم للنوم ، ولكنه عجز عن التوقُّف عن التفكير فيها ..

كانت تملأ كيانه على نحو لم يعهده فى نفسه من قبل ..

وراح يتساءل : لماذا ؟..

لماذا هى بالذات ؟..

إنه لا ولم ولن يؤمن بما يُطلقون عليه اسم (الحب من أوَّل نظرة) ..

إنه لم يقع فى حبِّها بغتة حتمًا ..

ولكنها راقت له ..

مسَّت بالتأكيد وترًا فى أعماق قلبه ..

وترًا ظلَّ ساكنًا صامتًا لسنوات وسنوات ..

ولكن لماذا هى ؟..

لقد تعرَّف عشرات الإيطاليات ، وخاصة بعد أن أصبح ثريًّا ..

إنهن هناك كالذباب ، يجذبهن المال ، فيحمن حوله ، ويلقِين أنفسهن فى أعماقه ، دون أن يتورَّعن عن بذل أى ثمن ..

وربما هذا ما جذبه إليها ..

لقد كانت تختلف عنهن ..

تختلف تمامًا ..

كانت على عكسهن ، رقيقة ، خجولة .. ومصرية ..

والأهم هو أنها لا تُولى المال كل هذا الاهتمام ..

إنها الوحيدة التى لم يبهرها ما عرضه عليها من مال ..

الوحيدة التى رفضت ثراءه ..

كم تضاعف حبه لها لحظتها !!

كم ذاب أكثر فى رقتها !!

وفجأة ، اغتصبها منه (نادر) ..

اغتصبها فى قسوة ، كما فعل بشقته قديمًا ، وكما أراد أن يفعل بشقيقته ..

لم يكد يبلغ هذه النقطة ، حتى قفزت إلى ذهنه صورة ، ارتجف لها جسده كله ، وخفق لها قلبه فى عنف ..

صورة تلك المرارة ، التى ارتسمت على وجه (منى) ، عندما أعلن (نادر) أنها ستصبح زوجته ..

استعاد الصورة فى وضوح ، حتى أنه هَبَّ جالسًا على طرف فراشه ؛ ليدفع عقله لتذكُّر التفاصيل ..

لماذا ؟..

لماذا ارتسمت المرارة على وجهها ؟..

أليس الطبيعى هو أن يحمرّ وجه العروس خجلًا وسعادة ، عندما يتطرَّق الحديث إلى أمر زواجها ؟..

أليس هذا هو المنطقىّ ؟..

شغل السؤال رأسه، حتى أنه قضى ليلته كلها مسهَّدًا، لم يذُق طعم النوم، حتى أشرقت الشمس، فانهمك بضع ساعات فى إنهاء إجراءات الشركة، وانطلق على الفور إلى مكتب الديكور، الذى تعمل فيه (منى)..

لقد قاوم رغبته فى الانطلاق إليها ، ولكن مقاومته تلاشت بمجرَّد أن ارتسمت صورتها فى ذهنه ، بكل رقَّتها وجمالها ..

ولقد فوجئت به (منى) أمامها ..

كانت تضع بعض لمسات الديكور الأنيقة ، فى رسم يحمل بصماتها ، عندما وجدته يقف أمامها ..

ولقد بدا ارتباكها ملحوظًا ، وهى تتطلَّع إليه ، وتختلس النظر إلى زملائها فى المكتب ، قبل أن تقول فى رقَّة تمتزج بالخجل :

ـ مرحبًا بك يا أستاذ (مراد) .. كيف حالك ؟

ظلّ يتطلَّع إلى عينيها بعض الوقت ، حتى تضرَّج وجهها بحُمرة الخجل ، وأشاحت عنه بعينيها ، متمتمة :

ـ هل من خدمة يمكننى تقديمها ؟

ابتسم قائلًا فى هدوء :

ـ ألَا تدعِيننى للجلوس أوَّلًا ؟

عادت تختلس النظر إلى زملائها فى قلق ، قبل أن تقول :

ـ بالطبع .. تفضَّل .

جذب مقعدًا ، وجلس أمامها تمامًا ، وهو يقول :

ـ لقد ابتعت اليوم مكتبًا ومخزنًا ومحلًا تجاريًا .

ابتسمت مغمغمة :

ـ مبارك ..

كانت رقيقة حتى فى ارتباكها ، فأضاف فى لهفة :

ـ وأحتاج إلى من يصمِّم ديكورات المكتب والمحلّ التجارِىّ .

قالت فى خُفُوت :

ـ يمكنك أن تتفق مع صاحب المكتب ، و .....

قاطعها فى لهفة :

ـ أريدك أنت .

ارتبكت وهى تغمغم :

ـ هناك من هم أفضل منِّى هنا ، وأكثر خِبْرة .

قال فى عناد :

ـ أحتاج إلى لمساتك أنت بالذات .

رَان عليهما الصمت لحظة ، ثم غمغمت :

ــ الواقع أنه لا يمكننى القيام بعمل منفرد :
نهض قائلًا فى حزم :
ــ فليكن .. أين صاحب المكتب ؟
أشارت فى حياء إلى حجرة جانبية ، وهى تغمغم :
ــ يجب أن تحصل على موعد معه أوَّلًا .
غمغم فى حزم :
ــ هُرَاء .
ودفع الباب ، وهو يقول لسكرتير صاحب المكتب :
ــ أخبر المدير أن رجل الأعمال (مراد فهمى) يريد مقابلته لأمر عاجل .
لم تمضِ لحظات ، حتى كان المدير يستقبله فى هدوء ، ويدعوه إلى الجلوس ، وهو يسأله :
ــ أى نوع من الأعمال تزاول يا أستاذ (مراد) ؟
أجابه (مراد) فى هدوء :
ــ تجارة قطع غيار السيَّارات الإيطالية .. إننى أُعَدُّ أكبر وكيل لها ، فى الشرق الأوسط كله .
بدا الاهتمام على وجه مدير المكتب ، وهو يقول :
ــ عظيم .. وكم تبلغ ميزانية الديكورات فى شركتك ؟

لوَّح بكفِّه ، قائلًا فى عظمة :
ــ أريدها ديكورات مُبهرة ، دون تحديد للتكاليف .
رفع المدير حاجبيه منبهرًا ، وقال فى ارتياح :
ــ يسعدنا التعامل معك يا أستاذ (مراد) .
قال (مراد) فى حزم :
ــ ولكن لدىَّ شرط واحد .
سأله المدير فى اهتمام :
ــ ما هو ؟
أجابه فى لهجة من لا يقبل نقاشًا :
ــ أن تتولَّى المهندسة (منى) العملية كلها .
صمت لحظة ، ثم أسرع يستدرك :
ــ إن لمساتها الرقيقة تَرُوق لى للغاية .
ابتسم المدير ، وهو يقول :
ــ اتفقنا .. هل نوقِّع العقد ؟
أجابه فى ارتياح :
ــ على الفور .
لم يكد (مراد) ينتهى من توقيع العقود مع المدير ، حتى أسرع إلى (منى) ، وقال لها فى صوت مرتفع ، وكأنما تعمَّد أن يسمعه الجميع :

— لقد وافق المدير .. وستتولّين وحدك مسئولية العمل كله .

ثم التقط قلمه الذهبىّ ، وخطَّ به عنوان مكتبه الجديد على ورقة كبيرة ، دفعها إليها قائلًا فى لهجة حازمة :

— سأنتظرك فى التاسعة من صباح الغد هناك .

وغادر المكان فى ارتياح شديد ، وهو يعلم أن المال قد ربح هذه الجولة أيضًا ..

كالمعتاد ..

* * *



٧ — وخفق القلب ..

لم يطق صبرًا على الانتظار حتى التاسعة ..

لقد استيقظ من نومه فى السادسة ، وهُرِعَ إلى المكتب فى السابعة صباحًا .

وهناك راح ينتظرها على أحَرّ من الجمر ..

لم يَعُد يبالى بأنها تنتمى إلى عائلة زوج عمته ، الذى طرده من حياته قديمًا مع شقيقته ..

لم يَعُد يبالى حتى بأنها خطيبة (نادر) ..

صار كل ما يسعى إليه هو أن يلتقى بها ..

إنه يريدها ..

يعبدها ..

ربما لم يكن هذا حبًّا من النظرة الأولى ..

وربما ليس حبًّا على الإطلاق ..

ربما هى رغبة ..

رغبة فى امتلاك شىء خلَبَ لُبّه ..

أو أنه حبّ ..

حبّ حقيقى ..

ولكنه لم يَعُدْ يبالى حتى بالتصنيف ..

إنه يريدها فحسب ..

وراحت الدقائق تمضى فى بطء مخيف ..

والثوانى بدت وكأنها أطول من الساعات ..

ولم يهدأ له بال لحظة واحدة ، وهو ينتقل من النافذة إلى الشرفة ، إلى باب الشقة ..

وفى تمام التاسعة ، خفق قلبه فى قوّة ، وهو يراها تغادر واحدة من سيّارات الأجرة ، فاندفع نحو الباب ليستقبلها ، وقد تمنّى لو أمكنه أن يحتويها بين ذراعيه ، وينهال على شفتيها بالقبلات ..

ولكن هيهات ..

من الواضح أنها ليست من ذلك النوع ..

إنها فتاة نظيفة طاهرة ..

لقد صار خبيرًا بتقييم مثل تلك الأمور ..

وراح يلهث فى قوّة ، وهو يحاول السيطرة على مشاعره ، ليستقبلها على نحو هادئ رصين ..

ولقد خُيِّل إليه أنه قد نجح فى السيطرة على مشاعره بالفعل ، ولكنه لم يكد يراها حتى خفق قلبه فى قوّة ، وكاد يقفز من بين ضلوعه ، وهى تقول فى همس ناعم رقيق :

ــ صباح الخير .

ذاب قلبه مع حروف كلماتها ، وتمتم :

ــ صباح النور يا آنسة (منى) .

أراد أن يصافحها فى لهفة ، إلّا أنها تظاهرت بأنها لم تلمح كفَّه الممدودة ، وهى تدير عينيها فى المكان ، قائلة :

ــ أظننا لن نحتاج إلى الكثير من الديكورات ، فالمكان مؤثَّث على نحو جيِّد .

غمغم متبرِّمًا :

ــ أظن ذلك .

ثم التفت يواجهها مباشرةً ، قائلًا :

ــ هل أنت مخطوبة إلى (نادر) حقًّا ؟

أشاحت بوجهها فى ارتباك ، وهى تغمغم :

ــ أرجوك يا أستاذ (مراد) ، دَعْنا لا نناقش الأمور الشخصية .. إننى هنا للعمل فحسب .

قال فى حنان :

ـ أنسيت أننى أحد أفراد الأسرة ؟

خفضت وجهها فى صمت ، فعاد يسألها :

ـ أأنت مخطوبة له حقًّا ؟

استمرَّ صمتها وإطراقها لحظات ، ثم انتفض قلبه بين ضلوعه بغتة ..

لقد رأى الدموع تنساب من عينيها فى صمت ..

دموع حزينة مريرة ، التهبت بها وجنتاها الرقيقتان ..

ولحظتها تمنَّى لو دفع كل ثروته ، ليوقف نزيف الدمع من عينيها ..

لحظتها هانت له روحه نفسها ، مقابل حزنها ..

وفى حنان دافق ، تمتم :

ـ (منى) .. هل تبكين ؟

ازداد انهمار الدموع من عينيها ، دون أن تنبس ببنتِ شَفَةَ ، فسألها فى لَوْعَة :

ـ هل يفرضون عليك هذا الزواج ؟

أومأت برأسها إيجابًا فى مرارة ، وتفجَّرت كل ينابيع الغضب فى أعماقه ، فهتف :

ـ الأوغاد !

غمغمت فى رقة ، وهى تمسح دموعها بأناملها :

ـ أرجوك يا أستاذ (مراد) .. لن أحتمل أن يعلموا بذلك .

هتف فى مرارة :

ـ ولماذا تخضعين لهم ؟.. لماذا ؟

قالت فى حزن :

ـ لقد تُوُفِّىَ أبى ، وتركنى وحيدة ، يتيمة ، فقد تُوُفِّيت أمِّى بعد سنوات قليلة من ولادتى ، ولم يكن لى سوى عمِّى (نظمى) ، الذى أصرَّ على أن أترك شقتنا ، وأقيم معه ، بحجة أننى صغيرة ، ومن المخالف للتقاليد أن أعيش وحدى ، وبعدها أصرَّ على أن يزوِّجنى ابنه (نادر) .

تمتم (مراد) فى غضب :

ـ طمعًا فى الشقة أيضًا .

غمغمت فى مرارة :

ـ ربَّما .

ران عليهما الصمت لحظات ، ثم سألها (مراد) :

ـ وهل توافقين على الزواج من (نادر) ؟.. أعْنى هل تجدينه معقولاً ؟

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت :

ـــ لا .. إنه يختلف تمامًا عن صورة الزوج الذى أحلُم به ، فهو شحيح ، شَرِهٌ للمال .. مستغل .

مطَّ شفتيه ، مغمغمًا :

ـــ أعلم ذلك .

ثم تنهَّد فى عمق ، وقال :

ـــ حسنًا .. اتركى لى الأمر كله .

رفعت عينيها إليه فى دهشة وحَيْرة ..

ولم تدرِ كم ربحت بهذه الحركة التلقائية ..

إنه لم يكد يرى عينيها ، حتى شعر أنه مستعد لقتال العالم كله من أجلها ..

من أجل بَسمة واحدة على شفتيها ..

من أجل محو دمعة واحدة عن وجنتيها ..

من أجل عينيها ..

وسألته :

ـــ وماذا ستفعل ؟

أجابها وكل خلية من خلايا قلبه تخفق بحبها :

ـــ سأقنع (نادر) بفسخ خِطبتك .

سألته فى لهفة :

ـــ كيف ؟

تنهَّد فى عمق ، وملأ صدره بعبيرها ، وعينيه بفتنتها الهادئة ، ورقَّتها البالغة ، وهو يقول :

ـــ اتركى لى هذا الأمر .

ثم ابتسم مستطردًا فى حنان :

ـــ هل تثقين فِىَّ ؟

أجابته فى سرعة :

ـــ جدًا .

أنعشته إجابتها ، ودفعت دماء الحبّ فى عروقه ، فارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة ، جاوبتها هى بابتسامة حياء ، وهى تستطرد فى خُفُوت :

ـــ والآن .. هَلَّا بدأنا العمل !!

أجابها فى هيام :

ـــ بلا شكّ .

ولكنه كان يعلم أنه قد صار ملكًا لها ..

لقد هزمت رقَّتها إرادته ..

لقد هوَى قلبه فى نعومتها ..

من أجلها سيفعل كل شىء ..
من أجلها سيحقّق انتقامه ..
وخفق قلبه مرَّة أخرى ، وراح نبضه يهتف :
ــ إنهم لن يغتصبوا منِّى هذه الفتاة ..
وصرخ عقله :
ــ لن أتركها لهم ..
ومع ابتسامتها ، واصل قلبه خفقانه ، وراح يخفق ..
ويخفق .. ويخفق ..
لقد أحَبَّ ..
أحَبَّ (نسمة الصباح) ..

* * *



٨ ــ النبض ..

مضى العمل فى شركة (مراد) بسرعة تدعو إلى الدَّهشة حقًّا ..
كان كل شىء يتم على النحو الأمثل ..
وكانت (منى) تعمل فى همَّة ونشاط يثيران الإعجاب ..
والعجيب أن كل هذا لم يرُق لـ (مراد) ، فقد كان يتمنَّى لو استغرق العمل دهرًا ، حتى يحظى بأطول فترة ارتباط مع (منى) ..
إنه لم يصارحها بحبِّه حتى الآن ..
كان ينتظر أن يحرِّرها من نير (نادر) أوَّلًا ..
وهى لم تسأله مرَّة ثانية عمَّا ينوى فعله بشأن هذا الأخير ..
كانت كأنما قد منحته كل ثقتها ، وباتت تنتظر فى رقَّة كعادتها ..
ولكن العلاقة بينهما تطوَّرت أيضًا ..
لقد نشأت بينهما أُلفة جميلة ، ومودَّة رائعة ، كانت تنعش

قلب (مراد) ذوبًا وتثلجه ، دون أن يكدّر صفوه سوى تلك اللحظات ، التى كان يأتى فيها (نادر) ، ليزور خطيبته ، ويتفقّد المكتب الجديد ، ويثنى على (مراد) منافقًا ، إلّا أن استقبال (منى) البارد له كان يريح أعصاب (مراد) ، ويؤكّد له أن النصر سيكون حليفه حتمًا ..

وعَبْرَ تلك الأيام ، ومن خلال أحاديثهما الطويلة ، عرف (مراد) عن (منى) كل شىء .

عرف أنها ابنة رجل متوسط الحال ، لم ينجب سواها ، ثم تُوفّيت زوجته بمرض خبيث ، فعاش حياته من أجل ابنته فحسب ، واحتمل حتى أصبحت مهندسة ديكور ، ثم لفظ أنفاسه الأخيرة فى هدوء ، وكأنما خشى أن يزعجها بموته ..

وعاشت (منى) بعض الوقت فى شقتها وحيدة ، ثم جاء عمها (نظمى) ، وراح يلقى على آذانها خُطبة عصماء ، عن الشرف والكرامة والتقاليد ، انتهت بأن حملت حقائبها ، وذهبت معه إلى بيته ، ووقّعت صاغرة على توكيل عام ، يتيح له التصرُّف فى كل أمورها ..

وفوجئت بعدها بأن شقتها قد انتقلت إلى اسم ابن عمها (نادر) ..

بل لقد أرادوا نقلها هى أيضًا إليه ..

ولم تعُدْ تملك من أمرها شيئًا ..

لقد فقدت حتى إرادتها ..

حتى مرتبها كانت تمنحه لعمها مستسلمة ، ثم يتصدّق هو عليها بأجر مواصلاتها ، واحتياجاتها الرئيسية ..

ولم يكن تمسُّكها بارتداء الثياب السَّوداء إلا وسيلة للفرار من شراء ثياب جديدة ، أو اتباع موضات حديثة ..

ولقد أثارت هذه القصة حَنَق (مراد) فى شدة ، فسألها يومًا :

ــ ولِمَ لا تقاومين كل هذا ؟

غمغمت فى مرارة :

ــ كيف ؟

هتف مُحْنَقًا :

ــ على أى نحو .. اعترضى .. ارفضى ..

ترقرقت فى عينيها دمعة حزن ، وهى تقول :

ــ لو أنك فتاة مثلى ، ما راودتك تلك الأفكار .. ألا تعلم كيف يعامل مجتمعنا الفتيات ؟.. إنه يسلبنا كل حقوقنا .. حتى حق الإرادة والاختيار .

قال معترضًا :

ـــ ليس فى هذا العصر .

ابتسمت فى حزن ، قائلة :

ـــ وليس فى هذا المجتمع .. هل تصدِّق أفلام السينما ؟.. الفتاة ما زالت فى مجتمعنا مقهورة مظلومة ، مَهيضة الجناح كما يقولون ، لقد فكَّرت كثيرًا فى التمرُّد ، إلَّا أننى ، وبعد دراستى للنتائج المحتملة ، وجدت نفسى أتراجع ، خاصَّة بعد أن فقدت شقتى ومأواى .. التمرُّد يَعْنى أن أنفصل عن عمِّى ، وهذا يَعْنى أن أحيا وحدى ، وأن أبحث عن حجرة فى فندق صغير ، وأنت لا تعلم كم من الشائعات يمكن أن تحيط بفتاة وحيدة ، ولكن هناك حل آخر ، وهو أن أتزوَّج .

هتف فى لهفة :

ـــ إننى أراه حلًّا معقولًا .

هزَّت رأسها نفيًا ، وقالت :

ـــ هذا لا يحل المشكلة ، فالزواج على هذا النحو يصبح ـــ فى مجتمعنا ـــ أشبه بوصمة عار لا تنمحى .. ربما أتحمَّله أنا ، ولكن ماذا عن أبنائى فيما بعد ؟.. ماذا لو أن أحدًا عيَّرهم يومًا بأن أمهم قد فرَّت من أهلها لتتزوَّج .

غمغم فى ضيق :

ـــ ربَّما لو تفهَّموا الأمر ..

قالت فى حزن رقيق :

ـــ ليس فى مجتمعنا .

ثم عادت ترسم على شفتيها ابتسامة باهتة ، وتقول :

ـــ ما رأيك لو عُدْنا إلى العمل ؟.. أليس هذا أفضل ؟

هكذا كانت تُنهى كل حديث بينهما ..

كانت تفرّ ..

مرَّة واحدة قالت عبارة خفق لها قلبه ..

قالت :

ـــ إننى أشعر أنك قد صرت أقرب شخص إلىَّ ، فى العائلة يا أستاذ (مراد) .

يومها رقص قلبه طربًا ..

لقد صار الأقرب إليها ..

إلى قلبها ..

ولكن عقله كان يتساءل دَوْمًا عن سِرِّ رفضها لدعواته .. لقد دعاها لتناول الغداء معه عشرات المرَّات ، ولكنها كانت ترفض فى كل مرَّة ، وهى تمنحه ابتسامة اعتذار رقيقة ..

حتى عندما كان يكرِّر عرضه لها بالعمل معه ..

كانت تقدِّم فى كل مرَّة اعتذارات واهية ، ومبرِّرات ضعيفة لعدم ترك عملها ، ممَّا جعله يهتف يومًا :

ــ لا تقلقى بشأن عملك .. سأنهى أنا هذه المشكلة .

ارتجف صوتها ، وهى تقول :

ــ كيف ؟

أجابها فى حماس :

ــ سأدفع مقابلًا للتنازل عنك .

ضحكت فى رقَّة ، قائلة :

ــ خُلُوّ رجل ؟

ضحك بدوْرِه ، وهو يقول :

ــ بل مقابل تنازل ، مثلما يحدث مع لاعبى الكرة من المشاهير والمحترفين ، عندما يدفع أحد النوادى الرياضية مقابلًا ماديًّا ، ليفوز بلاعب من نادٍ آخر .

قالت مبتسمة :

ــ ولكننى أجهل كل شىء عن كرة القدم .

هزَّ كتفيه قائلًا :

ــ وأنا أيضًا .

ثم أضاف مبتسمًا :

ــ ولكننى أُقَدِّر مهندسى الديكور .

منحته ابتسامة رقيقة ، وخفضت عينيها بضع لحظات فى حياء ، حتى سألها فى اهتمام بالغ :

ــ ما رأيك ؟

تنهَّدت ، وهى تقول :

ــ لست أظنهم يتخلَّوْن عنِّى بهذه البساطة .

هتف فى حماس :

ــ أتراهنين ؟

ابتسمت فى رقَّة ، وهى تغمغم :

ــ لست أحب حتى أن أخوض التجربة .

سألها فى ضيق :

ــ أتظنِّين ربُّ عملك يتمسَّك بك إلى هذا الحد ؟

بدت ابتسامتها شاردة ، وهى تقول :

ــ ليس ربُّ عملى هو كل المشكلة .

سألها فى حدَّة :

ــ مَنْ إذن ؟

تردَّدت لحظة ، ثم قالت :

ـــ المكان نفسه ، والزملاء ، و .....

قاطعها فى حَنَق :

ـــ أهو أفضل من هنا ؟

رمقته بنظرة عتاب ، وهى تقول :

ـــ لست أميل للمقارنة .

لوّح بكفّه ، قائلًا :

ـــ حسنًا .. لن نناقش هذا الأمر مرّة أخرى .

رَانَ عليهما الصمت لحظات ، ثم غمغمت هى :

ـــ هل أغضبك قولى ؟

نطقتها فى رقة بالغة ، جعلت قلبه ينبض بحبِّها ، وهو يلتفت إليها ، ويرسم على شفتيه ابتسامة حانية ، قائلًا :

ـــ اطمئنى .. لا شىء يغضبنى منك أبدًا .

وصمت لحظة ، ثم استدرك :

ـــ ولكن الفضول يستبدّ بى ، بسبب إصرارك على رفض العمل معى .

بدا لحظة وكأنها ستُدلِى بشىء ما ، ثم لم تلبث أن ابتسمت ، قائلة :

ـــ فَلنقُل إننى من ذلك النوع ، الذى يرتبط بشدَّة .

غمغم :

ـــ بكل شىء .

تضرَّج وجهها بحُمرة الخجل ، وهى تغمغم :

ـــ نعم .. بكل شىء .

ملأ عينيه بملاحتها لحظات ، ثم تمتم فى هيام :

ـــ هذا يجعلك أفضل .

أطرقت بوجهها فى حياء ، وهمَّت بقول شىء ما ، فأسرع هو يقول ، مقلِّدًا أسلوبها ولهجتها :

ـــ ما رأيك لو عدنا إلى العمل ؟.. أليس هذا أفضل ؟

واستغرقا فى الضحك معًا ..

وطوال الشهر الذى استغرقه إعداد المكتب والمحل التجارىّ ، كانا ينهمكان فى أحاديث طويلة متصلة ..

ولقد وجد (مراد) نفسه يقُصّ عليها كل حياته ..

كل ما فعله به زوج عمته ..

كفاحه فى (إيطاليا) ..

تعبه ..

نجاحه ..

وتطلَّعت إليه هى فى إشفاق ، وهى تقول :

ـــ أفعل بك عمى (نظمى) كل هذا حقًّا ؟
أومأ برأسه فى مرارة ، فغمغمت :
ـــ يا للعار !!.
ثم رفعت عينيها إليه ، هاتفة :
ـــ ولكن هذا يدلُّ على كرمك .
سألها فى دهشة :
ـــ لماذا ؟
أجابته فى حماس :
ـــ لأنه قد فعل بك كل هذا ، وعلى الرغم من ذلك تمنحه وظيفة جيِّدة فى شركتك ، هو وابنه .
شرد بأفكاره لحظات ، قبل أن يجيب :
ـــ ربَّما ليس هذا كرمًا .
سألته فى حَيْرَة :
ـــ ما هو إذن ؟
صمت لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى حزم :
ـــ ربما هى العدالة .. عدالة السماء .
قالها وقلبه ينبض ..
ينبض بالغضب ..

* * *

٩ ـــ انتقـــام ..

استيقـظ المحاسب (محمـد رأفت) من نومـه ، فى ذلك الصباح الدافئ ، على رنين هاتفه ، فتثاءب ، وسمع زوجته تتمتم فى سُخْط :
ـــ من هذا الذى يتصل مُبكِّرًا هكذا ؟
ربَّت على كتفها ، وهو ينهض مغمغمًا :
ـــ واصلى أنت نومك .. سأجيب أنا .
اتجه إلى حيث استقرَّ الهاتف ، ورفع سمَّاعته ، وهو يقول فى نُحول :
ـــ من المتحدِّث ؟
أتاه صوت مألوف ، لم يسمعه منذ زمن طويل ، يقول :
ـــ أنا (مراد) يا (رأفت) .
مضت لحظة من الصمت ، قبـل أن يعقـد حاجبيه ، مغمغمًا :
ـــ (مراد) من ؟

أتاه صوت (مراد) ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ (مراد فهمى) .

هتف (رأفت) فى حرارة :

ـ (مراد) ؟!.. صديق الطفولة ؟.. من أين تتحدَّث يا رجل ؟

أجابه (مراد) :

ـ من هنا .. من (القاهرة) ؟

هتف فى سعادة :

ـ متى وصلت ؟.. إننى أشتاق لرؤيتك جدًّا .

تنحنح (مراد) ، وهو يجيب :

ـ لقد وصلت من ثلاثة شهور فى الواقع .

صاح (رأفت) مستنكرًا :

ـ ثلاثة شهور ؟!.. كيف لم تتَّصل بى قبلها أيها الجاحد ؟.. كيف تنتظر ثلاثة شهور كاملة، دون أن نلتقى ؟.

أجابه (مراد) :

ـ كنت مشغولًا للغاية يا (رأفت) .. صدِّقنى .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ ولقد أردت أن أفاجئك بشركتى الجديدة .

قال (رأفت) فى دهشة :

ـ شركتك ؟!

ثم جذب مقعدًا ، وجلس مستطردًا فى لهفة :

ـ يبدو أن لديك الكثير لتقصّه علىَّ .

ضحك (مراد) ، وهو يقول :

ـ إلى حدّ ما .. لقد عدت منذ ثلاثة شهور ، حاملًا عقدًا يمنحنى التوكيل الوحيد فى الشرق الأوسط ، لقطع غيار السيَّارات الإيطالية ، ولقد افتتحت شركة كبيرة ، باسم (شركة مراد) ، و .....

قاطعه (رأفت) فى دهشة :

ـ (شركة مراد) ؟!. أتعنى تلك التى تحاصرنا إعلاناتها ، فى كل وسائل الإعلام ، منذ شهر كامل ؟

أجابه (مراد) :

ـ نعم .. هى .

هتف (رأفت) :

ـ لن يصلح الحديث فى الهاتف إذن .. متى ستذهب إلى الشركة ؟.. من الضرورىّ أن نلتقى .

أجابه (مراد) فى ارتياح ، وكأن هذا ما كان يسعى إليه بالضبط :

ــ إننى أتحدّث إليك منها .. سأنتظرك الآن لو أردت .

صاح (رأفت) :

ــ سآتى على الفور .

لم تمضِ ساعة واحدة ، حتى كان الصديقان يتعانقان فى حرارة ، وراح (مراد) يقصّ على صديقه القصة كلّها ، و (رأفت) يستمع إليه فى انتباه ، حتى انتهى من قصته ، فغمغم (رأفت) فى قلق :

ــ (مراد) .. ما الذى تدبِّره بالضبط ؟

رمقه (مراد) بنظرة جانبية ، وهو يقول :

ــ فِيمَ تفكِّر ؟

هتف (رأفت) :

ــ بل فِيمَ تفكِّر أنت ؟.. لقد عدت من (إيطاليا) ثريًّا ، وافتتحت شركة محترمة ، ولكن لماذا جذبت زوج عمتك وابنه ليعملا لحسابك ؟

بدا (مراد) خاملًا ، وهو يقول :

ــ ما رأيك أنت ؟

أجابه فى حِدَّة :

ــ رأيى أنك تُعِدّ لخطَّة انتقامية .

قال فى هدوء أقرب إلى البرود :

ــ صدقت .

انعقد حاجبا (رأفت) فى شدة ، وهو يقول :

ــ لماذا يا (مراد) ؟.. لماذا ؟

بدت له عينا (مراد) مخيفتين ، وهو يقول :

ــ أنسيت ما فعلاه بى ؟.. أنسيت كيف اغتصبا شقتى ؟.. أنسيت كيف طردانى وشقيقتى منها ككلبين أجربين ؟

تمتم (رأفت) :

ــ لا .. لم أنسَ .. ولكن .....

قاطعه فى حِدَّة :

ــ ولكن ماذا ؟.. هل نرحمهما الآن ؟.. هل من العدل أن ينعما بكل جرائمهما ؟

تنهَّد (رأفت) ، قائلًا :

ــ كل ما أخشاه هو أن تخسر نفسك يا (مراد) .

أجابه فى حزم :

ــ اطمئن .

ثم عاد يسترخِى فى مقعده ، مستطردًا :

— ولكننى أحتاج إليك .

قال (رأفت) فى توتُّر :

— لى أنا ؟!.. لماذا ؟

لوَّح بسبَّابته ، قائلًا :

— ستقوم بدور صغير من أجلى .

تمتم فى قلق :

— دَوْر صغير ؟!.. (مراد) ، لا تورِّطنى فى أعمال غير مشروعة .

اعتدل (مراد) على نحو حادّ ، وهو يقول :

— غير مشروعة ؟!.. مَنْ أعطاك هذه الفكرة الحمقاء .. إننى لا ألجأ إلى الأساليب غير المشروعة قَطُّ .

قال (رأفت) فى حَذَر :

— ماذا تريد إذن ؟

تنهَّد (مراد) فى عمق ، وهو يقول :

— الانتقام لى ولشقيقتى ، ولـ(منى) .

سأله فى دهشة :

— (منى) ؟!.. من (منى) هذه ؟

أجابه فى هدوء :

— ابنة شقيق (نظمى) الراحل .. لقد اغتصب منها شقتها أيضًا ، ويرغب فى تزويجها لابنه على الرغم منها .

مطَّ (رأفت) شفتيه فى ازدراء ، مغمغمًا :

— يا للحقير !

ثم عاد يسأل (مراد) فى اهتمام :

— قُلْ لى : هل تحبها ؟

صمت (مراد) لحظات ، ثم ارتسم على وجهه انطباع عاطفى ، وهو يقول :

— نعم .. أحبُّها .

سأله (رأفت) فى لهفة :

— وهى .. هل تبادلك هذا الحبّ ؟

هزَّ كتفيه ، مجيبًا :

— لست أدرى .

تراجع (رأفت) ، قائلًا فى دهشة :

— لست تدرى ؟!.. ما الذى يَعْنيه هذا ؟.. إنها إما أن تحبّك أو لا .

عاد (مراد) يهزّ كتفيه ، قائلًا :

— إننى لم أصارحها قَطُّ ، ولكن .....

صمت لحظة ، ثم استطرد فى هيام :

ــ ولكنها تتعامل معى على نحو متميِّز .

هتف (رأفت) مبتسمًا :

ــ حقًّا .. إذن فهى تحبّك يافتى .

تهلّلت أسارير (مراد) ، وهو يقول :

ــ كم أتمنّى ذلك !!

ثم مال نحو (رأفت) ، مستطردًا فى حزن :

ــ تصوَّر أننى لم أعُد أراها إلا قليلًا ، منذ افتتحت الشركة .

سأله (رأفت) فى اهتمام :

ــ لِمَ لا تصارحها بحبِّك مباشرةً يا (مراد) .. أنت الآن رجل ناجح ، لا ينقصك شىء ، ويمكنك أن تتزوَّجها على الفور .

شَرَد (مراد) ببصره ، وهو يقول :

ــ لم يَحِن الوقت بعد .

سأله (رأفت) :

ــ ومتى يَحِين ؟

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يجيب :

ــ عندما أستقر نفسيًّا .

عقد (رأفت) حاجبيه مرَّة أخرى ، وهو يقول :

ــ أتعْنِى بعد أن تنتقم ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، فمطَّ (رأفت) شفتيه ، وهزَّ رأسه مغمغمًا :

ــ مازلت أتوجَّس خِيفة من أسلوبك هذا .

ران عليهما الصمت لحظات ، وكلاهما يتطلّع إلى الآخر ، ثم مال (مراد) نحو صديقه ، وقال :

ــ اسمع يا (رأفت) ، ما سأفعله مع (نظمى) و (نادر) ، سيكون أشبه باختبار ثقةٍ وحسن نوايا ، وأمام هذا الاختبار سيتضح أحد عاملين ، إمَّا أنهما سيحفظان جميلى بتعيينهما فى شركتى ، بمرتَّب لم يكن أحدهما يحلُم به ، أو أنهما لن يتورَّعا عن خيانتى ، على الرغم من ذلك ، وسيعنى هذا أن الخيانة تسرِى فى دمهما ، وأنهما يستحقَّان العقاب .

سأله (رأفت) :

ــ وماذا لو ثبت الاحتمال الأوَّل ؟

ران الصمت لحظات أخرى ، ثم قال (مراد) فى حزم :

ــ لو ثبت هذا فسأغفر لهما كل ما فعلاه .

نهض (رأفت) ، وهو يقول :

ــ أهذا وعد ؟

أجابه فى حزم :

ــ نعم .. وعد .

تنهّد (رأفت) فى ارتياح ، ولانت أساريره ، وهو يعود للجلوس ، مغمغمًا فى حرارة :

ــ عهدى بك أنك لاتحنث بوعودك أبدًا .

وتنهّد مرّة أخرى ، قبل أن يستطرد :

ــ حسنًا .. ماذا تريد منّى ؟.. أنا رهن إشارتك .

تألّقت عينا (مراد) ، وهو يقول :

ــ سأخبرك يا (رأفت) .. سأخبرك بكل شىء ..

وبدأ الانتقام ..

* * *

١٠ ــ الخيـــانة ..

نهض (نظمى) من خلف مكتبه ، يستقبل (رأفت) ، ويصافحه فى اهتمام ، قائلًا :

ــ صباح الخير يا سيِّدى .. مرحبًا بك فى الشركة .

ابتسم (رأفت) وهو يقول :

ــ أنا (رأفت سليمان) .. صاحب شركة قطع غيار السيارات فى (أسيوط) .

أشار إليه (نظمى) بالجلوس ، قائلًا :

ــ تفضّل يا سيِّدى .. ما الخدمة التى يمكننى تقديمها ؟

التقط (رأفت) حقيبته ، وجلس وهو يقول :

ــ لقد سمعت أنكم أكبر توكيل فى الشرق الأوسط لقطع غيار السيارات الإيطالية .

أجابه (نظمى) فى زهوٍ :

ــ هذا صحيح .

تناول (رأفت) من حقيبته بعض الأوراق ، وهو يقول :

— إذن يمكنكم توريد هذه الطلبية إلى شركتى .

تناول منه (نظمى) الأوراق ، وراح يراجعها فى اهتمام ، ثم قال فى دهشة :

— ولكن هذه الطلبية تبلغ ما مجموعه مليونان من الجنيهات .

أومأ (رأفت) برأسه إيجابًا ، وقال :

— هذا صحيح .

هزَّ (نظمى) رأسه ، وقال :

— القواعد هنا تحتم ضرورة سداد ربع المبلغ نقدًا .

قال (رأفت) :

— وهو كذلك .

ثم مال نحوه بابتسامة خبيثة ، مستطردًا :

— ولكن ألا يمكن أن تنخفض القيمة بعض الشىء ؟

قال (نظمى) :

— ماذا تعنى ؟

ازداد ميله نحوه ، وهو يقول :

— أعنى أنه من الممكن أن يصبح المبلغ مليونًا ونصف المليون ، بدلًا من مليونين .

تطلّع إليه (نظمى) فى دهشة ، فأردف فى سرعة :

— مقابل ربع مليون جنيه نقدًا .

برقت عينا (نظمى) فى جشع ، وردَّد :

— ربع مليون جنيه ؟!

قال (رأفت) :

— وكلّها لك .

تراجع (نظمى) مبهوتًا ، وراح يدير الأمر فى رأسه بسرعة ، قبل أن يغمغم :

— ولكن هذا الأمر بالغ الخطورة .. قد أفقد وظيفتى .

غمز (رأفت) بعينه ، قائلًا :

— ليس إذا أحكمنا تدبير الأمر .

تلفَّت (نظمى) حوله ، قبل أن يسأله فى حذَر :

— كيف ؟

التصق به (رأفت) ، وهو يقول :

— لو أمكننا إقناع مسئول الخزانة .

ردَّد (نظمى) فى آلية :

— إنه ابنى .

تراجع (رأفت) ، هاتفًا :

ـــ رائع .. يمكن أن نخفض المبلغ إلى النصف إذن .
اتسعت عينا (نظمى) فى هَلَع ، وهو يقول :
ـــ كيف ؟
أجابه (رأفت) :
ـــ لا تقلق .. الأمر بسيط للغاية .. كل القطع المطلوبة زوجية العدد ، ويمكننا أن نقسم الطلبية إلى قسمين متساويين ، بحيث تتم كل الإجراءات بنصف واحد منها ، إلّا عند التسليم من المخازن ، فستتسلَّم ضعف الكمية ، بعد أن نختم الأوراق كلها .
قال (نظمى) فى قلق :
ـــ قد يُتَّهم ابنى بالتزوير .
هزَّ (رأفت) رأسه ، قائلًا فى ثقة :
ـــ اطمئن .. سيضع ختم الشركة على الوثيقة الثانية ، وبعدها نقوم بتصْويرها ، وسيبدو الأمر كأنما قد تعرَّض بدوْرِه إلى خُدْعَة .
عقد (نظمى) حاجبيه مفكِّرًا ، وقال :
ـــ فى هذه الحالة سيختلف الأمر كثيرًا .
قال (رأفت) فى سرعة :

ـــ بالطبع .. سأدفع نصف مليون لكما .. لا ربع مليون فقط .
برقت عينا (نظمى) ببريق جشع هائل ، وهو يقول :
ـــ اتفقنا .
ولم يَدْرِ وهو يصافح (رأفت) فى حرارة ، أنه قد وقَّع وثيقة النهاية ..
نهاية اللُّعبة ..

* * *



١١ ـ السـقوط ..

لم تدرِ (مها) لِمَ بدا شقيقها شديد الابتهاج هذا الصباح بالذات .. لقد استيقظ فى السادسة ، وراح يغنّى فى سعادة ، وأعدّ بنفسه شطائر الصغيرين ، وقبّلهما فى حرارة ، حتى أن زوجها (رفيق) سأله فى دهشة :

ـ ماذا حدث ؟.. هل ربحت صفقة كبرى ؟

هتف (مراد) فى حرارة :

ـ نعم يا رجل .. أفضل صفقة فى حياتى كلها .

ابتسمت (مها) فى حنان ، وهى تقول :

ـ فليمنحك الله (سبحانه وتعالى) المزيد والمزيد يا (مراد) .

قال (مراد) فى لهفة :

ـ إننى أدعوك لحضور هذه الصفقة يا (مها) .

ضحكت قائلة :

ـ أهى صفقة عمل أم مسرحية هزلية ؟

لوّح بكفه ، قائلًا :

ـ مزيج من هذا وذاك يا أختى العزيزة .

ثم انحنى يقبّلها فى حرارة ، مستطردًا :

ـ ولقد وجدت زوجة أيضًا .

هتفت فى سعادة :

ـ حقًّا يا (مراد) ؟.. أهى جميلة ؟

أجابها فرحًا :

ـ رائعة .

سألته فى لهفة :

ـ ما اسمها ؟

ضحك قائلًا :

ـ لن أخبرك .. سأجعلها مفاجأة .

ثم اختطف سترته ، واندفع نحو الباب ، مستطردًا :

ـ إلى اللقاء .. سأنتظرك فى المكتب .

هتفت :

ـ متى يا (مراد) ؟..

ولكنه لم يسمع سؤالها ..

كان يهبط فى درجات السُّلَّم كالصاروخ ..

كل عقله كان يفكِّر فى أمرين لا ثالث لهما ..
انتقامه ، الذى صار تحقيقه قابَ قوسين أو أدنى ..
و (منى) ..
(منى) ، التى لم يحب سواها فى عمره كله ..
اليوم سينتقم له ولها ..
واليوم سيعترف لها بحبُه ..
كان من المفروض أن يتجه إلى مكتبه على الفور ، إلَّا أنه شعر برغبة عارمة فى رؤيتها ، فانطلق إلى مكتب الديكور على الفور ..
وفى هذه المرَّة أيضًا استقبلته بنفس الارتباك والحرج ، وراحت تختلس النظر إلى زملائها ، متمتمة :
ــ مرحبًا يا أستاذ (مراد) .. كيف حالك ؟
أجابها فى لهفة :
ــ ألديك عمل الآن ؟
سألته فى حَيْرة :
ــ لماذا ؟
قال فى سرعة :
ــ أريد منك أن تذهبى معى إلى المكتب الآن ..

غمغمت فى دهشة :
ــ الآن ؟!
قال فى حِدَّة :
ــ هل أحصل لك على موافقة ربّ عملك ؟
ارتبكت فى شدَّة ، وتمتمت فى رقَّة :
ــ أستاذ (مراد) .. ماذا تريد بالضبط ؟
قال فى حرارة :
ــ إننى أُعِدّ لك مفاجأة فى مكتبى .
قالت فى صوت امتزجت فيه رقَّتها بشىء من الصرامة :
ــ أستاذ (مراد) .. إننا فى وقت العمل .
اعتدل فى دهشة ، وغمغم فى حزم :
ــ هذا أيضًا عمل ..
صمت لحظة ، ثم استطرد ، محاولًا إيجاد تفسير مناسب :
ــ هناك جزء سنقوم بتغيير ديكوراته .
ألقت نظرة مرتبكة أخرى على زملائها ، ثم قالت :
ــ حسنًا يا أستاذ (مراد) .. سأنتهى من بعض التصميمات ، وأحضر إليك .
سألها فى ضيق :

— متى ؟
أجابته فى ارتباك :
— بعد ساعة واحدة .
قال فى توتُّر :
— سأنتظرك .
ثم أسرع ينصرف ، وهو يشعر بالحنق ..
لماذا عاملته على هذا النحو ؟..
لماذا لم تستجب له ؟..
ضايقه أن يذهب إلى مكتبه دونها ، وهو الذى أراد أن تشاركه لحظة انتصاره ، وانتصارها ..
ولكن لا بأس ..
إنها فتاة ..
فتاة وحيدة يتيمة ، تخشى المجتمع ..
كم يحبها !!..
كم يحلُم بأن يبسط عليها حمايته ، فلا تعود تخشى شيئًا ..
اليوم سيثبت لها أنه أهل لثقتها وحبها ..
اليوم سيعيد إليها حقّها ، ويخلّصها من نيرها ..
اليوم ..

وفى مكتبه ، كان (رأفت) يجلس مع (نظمى) و (نادر) ، والأخير يقول فى توتُّر :
— ألَمْ يكن من الأفضل أن ننهى هذا الأمر فى مكان آخر يا (رأفت) بك ؟
هزَّ (رأفت) رأسه نفيًا ، وهو يقول :
— لا .. هذا أفضل مكان يُبعدنا عن الشُكوك .. قُلْ لى : هل أحضرت الأوراق ؟
ناوله (نادر) ورقتين ممهورتين بأختام الشركة ، وهو يقول فى توتُّر :
— ها هى ذى .. يمكنك أن تتسلَّم بضاعتك كلها ، على أن تسجِّل نصف قيمتها فحسب .
تنهَّد (رأفت) فى ارتياح ، وقال :
— رائع .
سأله (نظمى) فى لهفة :
— أين حقّنا ؟
ابتسم وهو يقول :
— أتقصد النصف مليون جنيه ؟
هتف فى شراهة :

ـ نعم .. أين هو ؟

ارتجف جسده فى قوة ، عندما سمع من خلفه صوتًا صارمًا يقول :

ـ أتتعجَّل ثمن خيانتك إلى هذا الحدّ ؟

استدار (نظمى) و (نادر) إلى مصدر الصوت فى هَلَع ، وامتقع وجه (نظمى) فى شدّة ، فى حين هتف (نادر) فى رُعب :

ـ لا ..

واقتحم (مراد) المكتب ، وهو يقول فى صرامة غاضبة :

ـ كان ينبغى أن أدرك ذلك .. كان ينبغى أن أتوقَّع أن الخيانة تسرِى فى دمائكما ، وأنه من المستحيل أن تخلصا لأحد .

تمتم (نظمى) فى انهيار :

ـ (مراد) ياولدى .. إننا .....

قاطعه (مراد) فى ثورة :

ـ ولدك ؟!.. صَهْ أيها الخائن الحقير !! إنك لاتستحق أن تكون حتى خادمى .

واختطف سمَّاعة الهاتف ، مستطردًا فى حِدّة :

ـ سأبلغ الشُرطة .. سألقى بكما فى السِّجن .

صرخ (نادر) :

ـ السِّجن ؟!

أما (نظمى) ، فألقى نفسه عند قدمى (مراد) ، هاتفًا :

ـ لالا يا (مراد) .. لاتدمِّرنا .. أرجوك .. أرجوك .. أتوسَّل إليك .

قال (مراد) فى صرامة :

ـ أريد استقالتكما إذن .. الآن .

قفز (نظمى) يلتقط ورقة وقلمًا ، وهو يهتف :

ـ سأكتب استقالتى .. ولكن لاتبلغ الشرطة .. أرجوك .

التفت (مراد) إلى (نادر) ، قائلًا فى صرامة :

ـ وأنت ؟

نهض الشاب منهارًا ، وراح يكتب استقالته وهو يبكى ، و (مراد) يقول بنفس الصرامة :

ـ استقالة بلا أسباب .. اذكرا فيها أنكما قد عثرتما على عمل أفضل ، وأنكما ستتركان العمل من تاريخ الاستقالة .

أطاعاه فى انهيار ، ووقَّعا الاستقالتين ، وأعطياه إيَّاهما ، فابتسم فى ظَفَر ، وهو يقول :

ـ الآن أمسكت عنقيكما .

ردَّد (نظمى) فى ارتياع :

ـ عنقينا ؟!

أطلق (رأفت) ضحكة ، و (مراد) يقول فى صرامة مخيفة :

ـ لقد أخذتكُما المفاجأة ، ونسيتما أن شيئًا لم يحدث بعد ، وأننى لو اتصلت بالشُّرطة ، فلن تجد دليلًا على إدانتكما .

اتسعت عينا (نادر) فى هَلَع ، وغمغم :

ـ لماذا إذن .....؟

قاطعه (مراد) :

ـ ستسألنى لماذا جعلتكما تُوقِّعان استقالتكما .. أليس كذلك ؟.. هذا لأنه هناك بندًا فى عقد تعاملنا ، يحتِّم عليكما ضرورة إنذارى ، قبل تقديم الاستقالة بشهر كامل ، وإلَّا فستدفعان نصف مليون جنيه كتعويض .

شهق (نظمى) ، وانهار فوق مقعده ، و (مراد) يواصل :

ـ ولكن هاتين الاستقالتين غير مسبَّبتين ، والمفروض أنكما ستتركان العمل يوم تقديمهما ، وهذا يَعْنى أن كلًّا منكما يدين لى الآن بربع مليون جنيه دفعة واحدة ، وسأحصل على أموالى ، حتى ولو ألقيتكما فى السجن .

بكى (نظمى) فى مرارة ، وهو يقول :

ـ رحماك يا (مراد) !! رحماك !!

قال فى صرامة :

ـ أريد نصف مليون جنيه .. الآن ، وإلا فسأُسْجنكما بلا رحمة .

هتف (نادر) فى انهيار :

ـ أنت تعلم أننا لا نملك هذا المبلغ .

قال (مراد) ، وعيناه تتألَّقان ظَفَرًا :

ـ ولكن كلًّا منكما يملك شقة .

اتسعت عينا (نظمى) ، وهو يتطلَّع إليه ، هاتفًا :

ـ إذن فهذا ما كنت تسعى إليه .

أجابه (مراد) ، وكل خليَّة من خلاياه تزغرد فرحًا :

ـ نعم .. هذا ما كنت أسعى إليه ..

وتنهَّد فى عمق ، وهو يقول :

ـ ولقد انتصرت ..

* * *

١٢ ــ نسمة الصباح ..

لأوّل مرَّة فى حياته ، استنشق (مراد) عبير الحرية ..

لقد تحرَّر من رغبته فى الانتقام ..

وانتصر .

ومن خلف نافذة مكتبه ، راح يتطلَّع إلى (نظمى) وابنه ، وهما يبتعدان عَبْرَ الطريق ، فى انهيار كامل ، وسمع صوت (رأفت) يقول :

ــ أظنّك قد انتصرتِ تمامًا هكذا يا (مراد) .

تنهَّد فى عمق ، وهو يقول :

ــ حمدًا لله .. لقد استعدت شقة أبى وأمّى ، وشقة (منى) .

سأله فى قلق :

ــ وأين ستذهب عمتك وزوجها ؟

أجابه فى هدوء :

ــ إلى الجحيم .

ثم التفت إليه مبتسمًا ، مستطردًا :

ــ فلتذُق هذه الأسرة بعضًا ممَّا أذاقتنا إيَّاه ، و .....

سمع كلاهما ، فى نفس اللحظة طرقات رقيقة على باب الحجرة ، فهتف (مراد) فى لهفة :

ــ إنها (منى) .

قال (رأفت) :

ــ حقًّا ؟.. أظن أنه من الأفضل أن أنصرف .

أجابه (مراد) ، وهو يُسرع نحو الباب :

ــ لا .. انتظر حتى تلتقى بها .

فتح الباب وهو يقول فى حرارة :

ــ مرحبًا يا (منى) .. صباح الخير .

غمغمت فى رقَّة :

ــ صباح الخير يا أستاذ (مراد) .

أشار إلى (رأفت) ، قائلًا فى حماس :

ــ أقدّم لك الأستاذ (رأفت) ، مدير الخزانة ومدير المبيعات الجديد .

شاركها (رأفت) دهشتها ، وهو يقول :

ــ أنا ؟!

أجابه (مراد) :

ــ نعم .. أنت .. هيًا يا رجل .. اذهب وتسلَّم عملك .

ودفعه أمامه إلى خارج الحجرة ، مستطردًا فى لهفة :

ــ هيًا يا رجل .. هيًا .

أغلق الباب خلفه ، وهو يلتفت إلى (منى) مبتسمًا ، فغمغمت فى توتُّر :

ــ أين ذهب عمى و (نادر) إذن ؟

أجابها مبتسمًا :

ــ لقد استقالا .

هتفت فى دهشة :

ــ استقالا ؟!

ضحك فى ظَفَر ، وهو يقول :

ــ لقد أجبرتهما على ذلك .

ثم ناولها ورقة ، مستطردًا فى زهوٍ :

ــ ولقد استعدت منهما شقتك .. وشقتى .

تطلَّعت إلى الورقة فى دهشة ، وقالت :

ــ كيف ؟.. كيف فعلت هذا ؟

ضحك قائلًا :

ــ لقد جعلت (نادر) يتنازل عن خِطبتك أيضًا ، واستعدت التوكيل الذى أجبرك عمك على مَنْحه إيَّاه .

تألَّقت السعادة فى وجهها ، وهى تهتف :

ــ يا إلٰهى !!.. وكيف نجحت فى ذلك ؟

أمسك كفَّيها فى حنان ، وتطلَّع إلى عينيها فى حبٍّ ، وهو يقول :

ــ حبّك منحنى القوَّة يا (منى) .

انتفض جسدها الرقيق كله ، وهى تهتف :

ــ حُبِّى أنا ؟..

أجابها فى حرارة ، وهو يضمّ كفَّيها إلى قلبه :

ــ نعم يا (منى) .. إننى أحبّك .. أحبّك وأتمنَّاك زوجة .

جذبت كفَّيها من راحتيه فى رقَّة ، وتضرَّج وجهها بحُمرة خجل شديدة ، وهى تتمتم :

ــ أستاذ (مراد) .. أرجوك .

سألها فى لهفة :

ــ ألا تجدينني مناسبًا لك كزوج ؟

قالت فى حياء :

ــ أنت رجل رائع ، تتمنَّاك كل فتاة .

هتف فى سعادة :

ــ أحقًّا يا (منى) ؟

ولكنها أضافت فى تردُّد :

ــ ولكن .....

هوَى قلبه بين قدميه ، وهو يقول :

ــ ولكن ماذا ؟

تردَّدت طويلًا ، ثم لم تلبث أن أشاحت بوجههـــا ، مستطردة :

ــ هناك شخص آخر .

اتسعت عيناه فى ذُعر ، وهو يحدّق فى وجهها فى ذُهُول ، مردِّدًا :

ــ شخص آخر ؟

أضافت فى سرعة وارتباك :

ــ نعم .. (سمير) .. مهندس زميل فى المكتب .. إننا مرتبطان منذ أيام الكلية ، ونعمل الآن فى مكتب واحد ، وهو يكافح لنتزوَّج ، و .....

انهار فوق مقعده ، قبل أن تتم حديثها ..

إذن فقد جاء متأخّرًا ..

إنها تحبّ ..

تحبّ زميلها ..

الآن فقط فهم السرّ الحقيقى تمسُّكها بعملها ..

الآن فقط أدرك لماذا كانت تبدو دومًا مرتبكة ، كلما زارها فى مكتبها ..

لماذا كانت تختلس النظر إلى زملائها ..

لقد كانت تخشى أن تجرح شعور زميلها المكافح ..

لأنها تحبُّه ..

ولأنه يحبُّها ..

كم هى رائعة !!

كم هى نادرة فى هذا العصر !!

وفى قلق ورقَّة ، سألته :

ــ أستاذ (مراد) .. هل آلمتك صراحتى ؟

بذل جهدًا خرافيًّا ؛ ليرسم ابتسامة على شفتيه ، وليتمتم فى صوت ذبيح :

ــ مطلقًا .

ولكنها أدركت ما يعانيه ، فتمتمت فى أسف :

ــ معذرةً .. هذه الأمور .....

قاطعها فى مرارة :

ــ ومتى ستتزوَّجان ؟

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ــ لقد كنَّا نبحث عن سكن ، ولكن عودة الشقة ستصنع فارقًا كبيرًا .

سألها :

ــ هل تحتاجان إلى المال ؟

ابتسمت مغمغمة :

ــ نعم .. ولكننا سنحصل عليه بكفاحنا فقط .

ران عليهما الصمت لحظات ، ثم تمتم هو :

ــ بارككما الله .

تمتمت :

ــ شكرًا لك .

وتردَّدت لحظة ، ثم أضافت :

ــ ولست أدرى كيف نشكر لك ما صنعته من أجلنا .

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ــ بأن يطلب (سمير) يدك منّى .

تطلَّعت إليه فى دهشة ، فأضاف :

ــ ألست أحد أفراد العائلة ؟

ابتسمت مغمغمة :

ــ بل أفضلهم .

وأسرعت تنصرف كأنها تخشى البقاء ، وتركته جامدًا فوق مقعده ..

لقد ربح وخسر فى ساعة واحدة ..

ربح انتقامه ، وخسر حبّه ..

تُرى أيهما أكثر قوّة ؟..

أيهما سيحفر بصمته فى قلبه إلى الأبد ؟.

كان سابحًا فى أفكاره ، عندما اندفعت شقيقته إلى حجرته ، هاتفة :

ــ هل انتهت الصفقة ؟.. إنك لم تخبرنى عن الموعد ، و .....

قاطعها فى خُفُوت :

ــ لقد استعدت الشقة .

هتفت فى سعادة :

ــ أحقًّا ؟!

ناولها التنازل الذى وقَّعه (نظمى) ، وهو يقول فى حزن :

ـ وخسرت النّسمة .

تطلّعت إليه فى دهشة ، مغمغمة :

ـ النّسمة ؟!.. أيّة نسمة ؟

ألقى بصره بعيدًا ، عَبْرَ نافذة المكتب ، إلى حيث راحت (منى) تقطع الطريق بجسدها الضئيل ، ورقّتها البالغة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة حانية ، اختلطت بحزن عينيه ، وهو يردّد فى خُفوت :

ـ أرقّ نسمة فى الوجود يا (مها) .. (نسمة الصباح) ..

وانحدرت فى قلبه دمعة ..

* * *

[تمت بحمد الله]

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى



المؤلف



د. نبيل فاروق

السلسلة الوحيدة التى لايجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

نسمة الصباح

عاد (مراد) إلى
وطنه ، بعد عشر سنوات
الكفاح .. عاد ثريًا ، ينشد
العدالة .. والحب .. والتقى بـ (منى) ..
أرقَّ فتاة عرفها فى حياته ..
فهل تمنحه الحب ، مع
(نسمة الصباح)؟..



ـه

الثمن فى مصر
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم